262

HARLEQUIN

روايات أحلام

جارة القمر

ديبي ماكومبر

www.elromancia.com
مرمورية

جارة القمر

لو كان الأمر بيد روبن ماسترسون لما اختارت أن تكون جارة لكول كامدن. لكن هناك أشياء كثيرة لا نختارها في الحياة ومنها الجيران...

كان كول كامدن رجلاً منعزلاً عن الناس سيء الطبع وعدوانياً وضع الحواجز بينهما منذ البداية وأنذرها أن تبقى بعيدة عنه هي وابنتها...

وحاولت روبن جهدها أن تلتزم. لكن لا الظروف ساعدتها ولا جاذبيته التي لا تقاوم...

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الامارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-099-0

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية

محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال

تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت

بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

Father's Day

First published in Great Britain 1992

Harlequin Mills & Boon Limited

© Debbie Macomber 1991

Translation © Dar El-Farasha - 2002

ISBN 9953 - 15 - 099 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -

ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان

Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص

أسرة أحلام

ديبي ماكومبر

كاتبة أميركية تعيش في ولاية «واشنطن». لديها أربعة أولاد، جميعهم في سن المراهقة، إضافة إلى عدد من الحيوانات الأليفة من بينها عدة قطط وكلب. بدأ نجم «ديبي» يلمع في عالم الكتابة منذ طفولتها، حين نسخ شقيقها دفتر مذكراتها وباعه. لكن قرّاءها ازدادوا كثيراً منذ ذلك الوقت!

تقول إنها كتبت رواياتها الأولى لأنها أغرمت بالروايات العاطفية وأرادت أن تكتب رواية خاصة بها. تحب ديبي أن تتواصل مع القرّاء.

يمكنكم أن تراسلوها على العنوان التالي:

P.O.Box 1458

Port Orchard,

Washington 98366,USA

١ ـ الفناء الخلفي

هتفت روبن ماسترسون وهي تزحف داخل خيمة نصبت في الفناء الخلفي للبيت الجديد، على حبل الغسيل: «لا أستطيع أن أصدق أنني أفعل هذا».

وألح جيف ذو السنوات العشر: «تعالي أمي».

وابتعد قليلاً مفسحاً لها المجال: «المكان دافىء مثل الخبز المحمص هنا».

زحفت على أطرافها الأربعة، وشقت طريقها إلى الداخل. وكان جيف قد نصب خيمته الرقيقة، مستخدماً مثبتات الغسيل وقطع الصخور، لوصل البطانيات على الأرض، ومع ضيق المكان، إلا انها تمكنت من الدخول إلى كيس النوم.

سأل جيف: «أليس هذا عظيماً؟».

أخرج رأسه من الفتحة الأمامية، ونظر إلى السماء السوداء والنجوم المتناثرة. في ما كانت روبن ترى أن تلك النجوم ربما تضحك منها. ولسبب معقول، ليس هناك على الأرجح امرأة أخرى في الثلاثين من عمرها في كل ولاية كاليفورنيا يمكن أن توافق على مثل هذا الجنون.

كانت هذه الليلة الأولى لهما في منزلهما الجديد وقد أصابها الإرهاق حتى العظم. إذ ابتدأت بالانتقال من الشقة قبل الخامسة صباحاً، وأنهت لتوها إفراغ آخر صندوق يحتوي على أغراض المنزل، وجمعت السريرين،

لكن جيف رفض القبول بشيء مألوف مثل النوم في فراش حقيقي، وبعد انتظار سنوات للتخييم في فناء خلفي خاص، لم يكن يرضَ بتأخير المغامرة حتى ليلة واحدة.

ولم تستطع روبن تركه ينام في الخارج وحده، ولأنه لم يلتق بأي جار بعد، فلم يكن هناك سوى خيار واحد.. كانت تستحق عن جدارة جائزة الأم المثالية لعملها هذا.

انقلب جيف على ظهره، ووكزها قائلاً: «أتريدين سماع نكتة؟».

ـ بالتأكيد.

وقاومت رغبة جامحة بالتثاؤب. وحاولت البقاء يقظة لتتمكن من الضحك.

في نصف الساعة التالية، تسلت روبن بسلسلة من الأحجيات، والكلام السجعي التافه، والأداء التمثيلي، والأغنيات المفضلة لجيف وهي أغنيات تعلمها من المخيم الصيفي.

وبدا أن ابنها قد نفدت ذخيرته، فقالت: «دق دق».

ـ من هناك؟

ـ واندا.

ـ واندا من؟

ـ واندا التي تحملت هذه النكات السخيفة.

وضحك جيف وكأنها فاهت بأجمل نكتة ألّفها أحدهم حتى الآن. وكان لا بد لحماسة ابنها من أن تؤثر فيها، وتخفف من بعض قلقها.. التخييم مسلٍّ نوعاً ما. لكن سنواتٍ طويلة قد مضت، منذ أن نامت على الأرض. وبصراحة، لم تكن تتذكر أنها قاسية إلى هذا الحد.

قالت مازحة: «أتظن أننا سنحصل على ما يكفي من الدفء؟».

كان جيف قد استخدم كل بطانية يملكانها، أولاً لإقامة الخيمة وثانياً لفرش أرضيتها، ولزيادة الأمان وضع اثنتين أخريين فوق كيسي النوم،

تحسباً من هبوط عاصفة ثلجية عليهما. الوقت هو الربيع، لكن ربيع سان فرانسيسكو يمكن أن يكون ثلجياً.

رد عليها، دون أن يلحظ المزاح في صوتها: «بالتأكيد.. لكن إذا بردت، يمكنك أخذ إحدى بطانياتي».

أكدت له: «أنا بخير».

ـ وهل أنت جائعة؟

ولأنها فكرت بهذا، أحست بالجوع.

ـ بالتأكيد.. ماذا لديك؟

غاص جيف داخل كيس نومه، وأطل بعد لحظة، وفي يده لفافة من حلوى «السوس» وكيس صغير مليء بالهلام السكري، وعلبة من الزبيب.. لكن روبن قررت غض النظر عن الوجبة السريعة.

سألها جيف، وهو يمضغ الزبيب بصوت مرتفع: «متى ستشترين لي كلباً؟».

أصغت روبن إلى صوته ولم تقل شيئاً.

كرر بعد لحظات: «أمي.. الكلب؟».

كانت روبن تتخوف من السؤال معظم اليوم، فقد تمكنت من تأخير طرحه لأكثر من شهر إذ وعدته بأن يناقشا أمر الكلب بعد استقرارهما في منزلهما.. وقال جيف وهو لا يزال يمضغ: «فكرت أن نبدأ في البحث في صحف الصباح».

ـ لست متأكدة متى سنبدأ البحث عن الكلب المناسب.

واعترفت روبن بصراحة، إنها جبانة. لكنها تكره أن تخيب أمل جيف.. فهو يتحرق شوقاً لاقتناء كلب.. آه كم يشبه أباه في حبه للحيوانات!

ـ أريد كلباً كبيراً، أنت تعرفين هذا. وليس كلباً صغيراً، من كلاب الزينة.

ـ كلب «كولي» سيكون لطيفاً . . ألا تظن هذا؟

ـ أو كلب رعاة ألماني .

همست : «كان والدك يحب الكلاب» .

لقد أعادت هذا على ابنها عدداً لا يحصى من المرات . . رحل لوني منذ سنوات طويلة . وهي تجد اليوم، ان من الصعب عليها أن تتذكر كيف كانت حياتهما معاً . كانا يحبان بعضهما بجنون، وتزوجا بعد وقت قصير من تخرجهما في الدراسات العليا وبعد سنة حملت بروبن . . ولم يكد جيف يبلغ ستة أشهر، حتى قتل لوني في حادث سيارة غريب عند عودته من عمله . . وتحطم عالم روبن المريح الحميم في لحظات، وانهار كل شيء من حولها، لكنها لا تزال حتى بعد عشر سنوات تدور في دوامة .

بمساعدة عائلتها، عادت إلى الدراسة وحصلت على الدرجة الجامعية . وهي الآن تعمل محاسبة قانونية عامة، لشركة تأمين كبيرة في سان فرانسيسكو . . وخلال هذه السنوات، تعرفت إلى عدد من الرجال، لكنها لم تفكر يوماً أن تقترن بواحد منهم . . لم تعد فتاة ثانوية صغيرة، وحياتها أكثر تعقيداً الآن عما كانت عليه وهي في سن الثامنة عشرة . . إن فكرة الوقوع في الحب مجدداً ترعبها .

سأل جيف : «أي نوع من الكلاب كان عند أبي وهو صغير؟» .

ردت روبن : «لا أعتقد أن روفر كان من سلالة معينة» .

وصمتت تتذكر بالضبط ما كان نوع كلب لوني في طفولته .

ـ أعتقد أنه كان . . من نوع . . لابرادوار .

ـ هل كان أسود؟

ـ وبنياً .

ـ هل كان يملك حيوانات أخرى؟

ابتسمت روبن لذكرى زوجها الراحل الدافئة . كانت تستمتع بالطريقة التي يحب فيها جيف سماع القصص عن والده، بغض النظر عن عدد

المرات التي يسمعها فيها .

ـ لقد جمع ثلاثة حيوانات أليفة في أول سنة من زواجنا . . كان يبدو وكأنه يأتي معه دائماً بقطة شاردة أو كلب ضائع . ولم نستطع الاحتفاظ بها على أية حال، فلم يكن يسمح لنا أن نحتفظ بالحيوانات الأليفة في الشقة . . ولقد حاولنا كثيراً أن نخبئها لبضعة أيام، ريثما نعرف مالكيها أو نجد لها منزلاً جيداً . . وفي أول ذكرى زواج لنا، اشترى لي سمكة ذهبية . . لقد كان يحب الحيوانات فعلاً .

ابتسم جيف ووضع ذقنه فوق ذراعيه المطويتين : «لقد حلمنا بشراء مزرعة في يوم ما، وتربية دجاج وخرافٍ وربما بقرة أو اثنتين . . ولقد تحدث والدك عن شراء جواد «پوني» صغير لك» .

مهما حاولت جاهدة، لم تكن قادرة على إخفاء الألم في صوتها، وحتى بعد كل هذه السنين، كانت ذكرى وفاة لوني تؤلمها . . وعندما تطلعت إلى ابنها المتلهف لكلب خاص به، افتقدت زوجها كثيراً .

صاح جيف بصوت ملؤه الانفعال : «أنت وأبي كنتما ستشتريان مزرعة؟ وجواداً صغيراً لي؟ حقاً؟ هل تظنين أننا ستتمكن يوماً من شراء مزرعة؟ انظري كم لزمنا من وقت لشراء المنزل» .

ابتسمت روبن : «أعتقد أن علينا تناسي فكرة اقتناء مزرعة حالياً . . » .

في بداية زواجهما، تحدث لوني وروبن لساعات عن أحلامهما . . وخططا لحياتهما، كانا على ثقة أن لا شيء سيفرق بينهما . فقد كان حبهما قوياً جداً . . ولم تكن روبن قد ذكرت لجيف من قبل شيئاً عن شراء المزرعة، ولا قالت له إنهما خططا لتسميتها «الفردوس» . .

تثاءب جيف بصوت مرتفع . وتعجبت لقدرته على التحمل . . فقد نقل العديد من العلب الكرتونية، وتسابق راكضاً نزولاً وصعوداً بطاقة لم تستطع روبن سوى إلا أن تغبطه عليها . . . ورتب الحمام في الطابق الأعلى، إضافة إلى غرفة نومه، وساعدها في تنظيم المطبخ .

قال جيف متمتماً: «بالكاد أستطيع الانتظار للحصول على الكلب».

وخلال دقائق غط في نوم عميق.

قالت روبن برقة وعيناها تغمضان: «كلب».

لم تكن تعرف كيف ستوصل الخبر السيء لجيف.. لن يستطيعا الحصول على كلب.. على الأقل ليس الآن.. فهي لا ترغب في ترك كلب ثمين محبوساً داخل المنزل طوال اليوم، وتذهب هي إلى العمل وجيف إلى المدرسة.. ولم يكن يروق لها ربطه في الفناء الخلفي، ولن تستطيع تحمل كلفة بناء سياج.. ليس هذه السنة على أية حال. ثم هناك كلفة إطعامه وطبابته.. فمع هذا المنزل الجديد، تجاوزت ميزانيتها أقصى حدودها.

استيقظت شاعرة بالبرد والدفء في آن واحد.. ونظرت في عتمة الفجر الرمادية إلى ساعتها: إنها السادسة والنصف. في مرحلة ما خلال الليل، انفتح كيس نومها الذي تعود ملكيته إلى أيام المدرسة الثانوية، وأحست ببرد الصباح يلسع ذراعيها وساقيها.. مع ذلك كان ظهرها دافئاً مرتاحاً.. لا شك أن جيف قد اندس بالقرب منها في الليل. وتنهدت، مصممة أن تعود إلى النوم لمدة نصف ساعة أخرى على الاقل.. عند هذه الفكرة مدت يدها لتأخذ بطانية تلفّها حول كتفيها، لكنها لاقت بعض المقاومة. شدت أكثر، لكن دون جدوى.. عندئذ أحست بشيء رطب ودافيء قرب عنقها.. وفتحت عينيها بحدة، وببطء شديد أدارت رأسها فوجدت كلباً أسود ضخماً، جالساً بمواجهتها.

شهقت روبن بصوت مرتفع، واستوت جالسة.

ابتعدت عن الكلب متسائلة: «من أين جئت؟»..

كان كلب اللابردوار قد أراح نفسه بينها وبين جيف. وكان يتصرف وكأنه في بيته، إذ وضع رأسه بين قائمتيه، وبدا مطمئناً تماماً، ومع أنه انزعج قليلاً لمقاطعة غفوته، لكنه لم يكن مهتماً أبداً بإخلاء موقعه.

استدار جيف وفتح عينيه، وقفز جالساً على الفور، وصاح مهتاجاً: «أمي.. لقد جئت لي بكلب!».

- لا.. إنه ليس لنا.. ولا أدري لمن هو.

قال جيف بصوت منتصر: «لي! إنه لي».

عانقت ذراعاه عنق الحيوان.

- لقد جلبت لي كلباً حقاً! كان المفترض أن يكون مفاجأة.. أليس كذلك؟

قالت بحزم: «جيف.. لست أدري من أين جاء هذا الحيوان، لكنه ليس لنا».

ترنح صوته بخيبة أمل: «ليس لنا؟ لكن لمن هو؟ وكيف دخل إلى الخيمة معنا؟».

- يا الله!.. لست أدري.

وطردت النوم من عينيها وهي تحاول أن تجمع أفكارها.

- يبدو أن هناك من يعتني به جيداً، لا بد أنه ملك لأحد في الجوار. ربما يكون..

وقاطعها صوت رجل خشن: «بلاكي! بلاكي! تعال إلى هنا».

رفع اللابردوار رأسه.. لكنه بقي حيث هو. ولم تلمه روبن، فقد كان جيف يملس ظهره بيد، ويدعك أذنيه بالأخرى.

تمكنت روبن بجهد من تخليص نفسها من كيس النوم. وأمسكت بحذاء التنس، ثم زحفت خارج الخيمة.. وما إن وقفت على قدميها حتى استدارت لتجد رجلاً طويلاً ونحيلاً يقف على بعد بضع ياردات منها، في الجانب الآخر من الشجيرات الشائكة التي تفصل أرضها عن أرضه. الواضح أنه جارها. فابتسمت روبن، لكن إشارتها التحيية لم تجد رداً، وبدا الرجل عدوانياً.

كان الجار رجلاً مهيباً، يبلغ طوله على الأقل ستة أقدام. ولأن روبن

تبلغ فقط خمس أقدام وثلاثة إنشات طولاً، فقد كان يزيد عليها بكتف ورأس.. وبشكل بديهي، شدت ظهرها لتلتقي بعينيه السوداوين. وقالت ببرود: «صباح الخير».

لم ينظر نحوها.. وحين فعل، صرف النظر عنها بهزة رأس بسيطة.. وأدركت روبن، بعد نوم ليلة على الأرض، أنها لن تكسب جائزة للجمال، لكنها كرهت الطريقة التي لمعت عيناه عليها دون اهتمام.

كانت روبن عادة حسنة النية، لكنها أحست تجاه هذا الرجل بعدوانية فورية، كان وجهه جامداً تماماً، مما جعل تعابيره مخيفة.. وكان من الواضح أنه يعي هذا ويستخدمه لمصلحته.

قالت مرة أخرى وهي تضم يديها بشدة: «صباح الخير».

شدت نفسها لتقف بطولها الكامل ورفعت ذقنها.

ـ أعتقد أن كلبك في الخيمة مع ابني.

بدا أن هذا الخبر فاجأه، فلان وجهه. وصدمت روبن للتغيير. فحين استرخى وجهه، أصبح رجلاً جذاباً جداً. لم تنتبه روبن في ما مضى، كم التقت برجال وسيمين. لكنها هذه المرة.. لاحظت.. ربما كان السبب هو التناقض مع تصرفه المخيف منذ لحظات.

ـ بلاكي لا يترك الفناء الخلفي أبداً.. تعال هنا بلاكي!

وصاح للكلب مرة أخرى، وصفر صفرة حادة مرتفعة كانت كافية لثقب طبلتي أذني روبن. وعلى الفور برز الكلب من الخيمة وتقدم إلى السياج الشجري على مضض.

خرج جيف وراء الكلب مباشرة: «هل هذا كلبك؟ إنه عظيم.. منذ متى وأنت تملكه؟».

قال الرجل متجاهلاً سؤال جيف: «لن أجعله يزعجكما مرة أخرى».

سارع جيف شارحاً، ومتقدماً إلى الأمام: «لم يزعجنا بلاكي. لقد زحف إلى الخيمة معنا وتصرف كما لو كان في بيته. لا بأس به معنا..

أليس كذلك أمي؟».

ردت روبن وهي تقلب شعرها الأحمر البني المسترسل على وجهها.

ـ بالتأكيد.

كانت قد ربطته إلى مؤخرة عنقها ساعة نامت، لكنه تحرر من الرباط خلال الليل، واستطاعت أن تتصور جيداً كيف تبدو الآن. معظم الأيام في الصباح كان يبدو شعرها كرغوة تغطي فنجاناً من القهوة.

ركع جيف: «نحن صديقان.. أليس كذلك بلاكي؟».

دون تردد، جاء الكلب إليه، يلعق وجهه بلهفة.

وكشفت عينا الرجل عن دهشة حارّة. وانجذب حاجباه البنيان معاً فوق أنفه المرتفع القصبة. وصاح بالكلب: «بلاكي.. إلى هنا».

ضغط الكلب نفسه بين فسحتين من السياج الشجري الشائك، وعاد إلى سيده الذي لم يكن مسروراً لانحياز كلبه الى جيف.

قالت روبن، شارحة: «لابني طريقة خاصة مع الحيوانات».

سأله جيف، دون أن يعي عدوانية الجار الجديد: «هل تسكن هنا؟».

ـ في المنزل المجاور.

رد جيف بابتسامة عريضة: «أوه.. جيد».

ووضع يده اليمنى على صدره: «أنا جيف ماسترسون.. وهذه أمي روبن. لقد انتقلنا للسكن هنا بالأمس».

ـ أنا كول كامدن. أهلاً بكما في الجوار.

ولم تكن لهجته تنم عن الود، ولا نظرات عينيه. تابع جيف كلامه بأدب: «سأحصل على كلب بعد وقت قصير. ولهذا السبب تركنا الشقة.. لم يكن باستطاعتي تربية حيوان أليف هناك، ما عدا سمكة ذهبية واحدة».

هز كول رأسه دون تعليق.

وفكرت روبن: أوه.. عظيم. بعد سنوات من التقتير والادخار لشراء منزل، ها هما يحطان قرب جار سيء الطبع.. كان منزله أقدم عهداً من

المنازل الاخرى المجاورة، وهو منزل ضخم، مؤلف من طوابق ثلاثة. واستنتجت أن المنطقة كانت تضم العديد من المنازل الواسعة المترفة مثل منزل كول كامدن. وبالتدريج، وعلى مدى سنوات طويلة، هدمت المنازل القديمة وبنيت مكانها منازل واسعة من طابقين. ولم يبق الا منزل جارها، يذكر بتلك الحقبة القديمة المنصرمة.

لم يستطع جيف إخفاء لهفته قائلاً: «هل لديك أولاد؟».

كان هناك دائماً الكثير من رفاق اللعب في المجمع السكني القديم. وكان الصبي ذو السنوات العشر، يتحرق شوقاً لعقد صداقات جديدة، قبل أن يبدأ دوامه في مدرسة جديدة صباح يوم الاثنين.

تصلب وجه كول، وكادت روبن تقسم أن السؤال أغضبه.. مرت لحظات مليئة بالتوتر قبل أن يرد، وبصوت خشن: «لا.. ليس لي أولاد».

لجزء من الثانية، كانت روبن متأكدة أنها رأت آثار ألم في عينيه.

ـ هل يمكنني أن ألعب مع بلاكي أحياناً؟ إلى أن أحصل على كلبي الخاص؟

ـ لا.

كان رد كول حاداً، وحينما أحس بخجل جيف، بدا وكأنه ندم على لهجته القاسية: «لا أعني أن أكون فظاً.. لكن سيكون من الأفضل ان لا تتجاوز فناءكم الخاص».

قال جيف: «لا بأس في هذا.. يمكنك أن ترسل بلاكي إلى هنا لزيارتي ساعة تشاء.. فأنا أحب الكلاب».

ـ انني أشعر بهذا جيداً.

وافتر ثغره عن ابتسامة خفيفة، ثم حول نظره من جيف إلى روبن، لم يكن وجهه معبراً مرة أخرى.. لكنها أحست أنه بطريقة ما قد خرج بانطباع عنهما وكأنه صنفهما واتخذ رأياً.

إذا كان كول كامدن يعتقد أنه قادر على إرهابها، فقد أذاع رسالته عالياً

وبوضوح.. إنه لا يريد أن ينشغل بهما، وفي المقابل سيبقى بعيداً. لم تكن تتضايق فهذا في الواقع شيء رائع، إذ لا تملك وقتاً تضيعه على المشاكل التافهة.

دون كلمة أخرى، استدار كول وسار نحو منزله وبلاكي في أعقابه.

نادى جيف رافعاً يده: «وداعاً سيد كامدن».

ولم تندهش روبن حين لم يرد جارهما.

وفي محاولة منها لإلهاء جيف عن عدوانية كول كامدن، نادت بابتهاج: «هَيْ.. أنا جائعة.. ماذا عندك؟».

لم يرد جيف فوراً: «هل تظنين أنه سيدعني ألعب مع بلاكي؟».

تنهدت روبن، وفكرت بالمشكلة التي أمامها. لم تكن ترغب أن يجرح كول مشاعر جيف، لكن من غير المحتمل أن يكون الجار ممتناً لمحبة ابنها لكلبه..

تابع جيف بإصرار: «ما رأيك أمي؟ لن يسمح لي باللعب مع بلاكي بعض الوقت.. ألا تعتقدين هذا؟».

همست: «لست أدري يا حبيبي. لست أدري».

ذلك اليوم، وبعد شراء علب الطعام، لتكديسها على رفوف المطبخ، وشراء ضروريات أخرى، احتفظت روبن بما تبقى معها من قطع نقود صغيرة في حقيبة يدها، ثمناً لتذكرة قطار الأنفاق صباح الاثنين. ولحسن الحظ كان لديها ما يكفي من عملات نقدية لركوب قطار الخليج السريع للأسبوع كله. لكن عليها أن تحضر طعامها في المنزل لمدة اسبوعين، وهي المدة المتبقية لاستلام راتبها.

ما كانت أحوالها المادية لتكون على هذا السوء لو انتظرت سنة أخرى، قبل أن تنتقل الى شقتها. لكن، بسبب سرعة تصاعد قيمة الأملاك، عجزت عن مواجهة التضخم المالي. وكانت نسب الفوائد منخفضة لسنتين، فعرفت بعد السنة الأولى بقليل أنها لو أرادت أن تنتقل

من الشقة، فإن الوقت مناسب جداً.

اقتحم جيف الباب الخلفي لاهثاً: «أمي.. لقد وقعنا في مأزق».

رفعت روبن رأسها تاركة طبق السلطة جانباً: «أوه؟».

كان ينظر بقرف، ثم ارتمى على كرسي وأسند مرفقيه على الطاولة، وتنهد بقوة:

ـ ما الأمر جيف؟

ـ أخشى أن نكون قد ارتكبنا غلطة شنيعة.

ـ وكيف هذا؟

ـ ليس هناك سوى الفتيات في الجوار.

وبدت نبرته، وكأنهما قد حطا في منطقة معادية.

ـ لقد قدت دراجتي صعوداً ونزولاً في الشارع، ولم أر سوى الفتيات.

قالت: «لا تقلق، ستلتقي الكثير من الصبيان في المدرسة يوم الاثنين».

صاح: «أنت لا تأخذين هذا على محمل الجد! ولا أظنك تفهمين ما يعني هذا. هناك سبعة منازل في المحيط.. ستة منها فيها بنات وواحد فيه صبي واحد، وهو أنا.. أنا محاط بالنساء!».

ـ وكيف عرفت كل هذا؟

ـ لقد سألت طبعاً.

وتنهد مجدداً.

ـ ماذا ستفعلين بهذا الشأن أمي؟

بهتت روبن بطريقة ما وسألت: «أنا؟ هل تقترح أن ننتقل مجدداً من الشقة؟».

فكر جيف بهذا لحظة: «كنت أظن أننا يجب أن نفعل لولا شيئان فهناك لن نستطيع تربية كلب، والحصن الذي وجدته...».

ـ حصن؟

قال بوقار: «أجل.. إنه موجود في فناء السيد كامدن ومغطى بالأغصان.. والمكان نظيف حقاً هناك ولا أعتقد أنه يعرف بأمره.. فالشائع في كل مكان أنه لا يحب الصغار. لا بد أن شخصاً ما بناه وسأعرف من. وإذا كان هناك نادٍ، أريد دخوله. فلي الحق، لأنني أقرب شخص يعيش قرب منزل كامدن».

ـ موافقة. إذن، تعتقد أن لا بأس في أن نبقى؟.

ـ أعتقد هذا.. على الأقل إلى أن أكتشف المزيد عن الحصن.

كانت روبن على وشك قول شيء آخر حين رن جرس الباب.

والتقت عينا جيف الزرقاوان بعينيها، وقال باشمئزاز: «أراهن أنها إحدى تلك الفتيات المزعجات».

ـ وهل تريد مني أن أتخلص منها؟

هز رأسه: «أرجوك».

كانت روبن تبتسم حين ردت على جرس الباب الأمامي. وكان جيف محقاً.. كانت فتاة، وهذه الفتاة بحسب تقديرها أصغر من ابنها بسنتين.. لكنها لم تأت وحدها، بل كانت ترافقها امرأة راشدة!

قالت المرأة بمرح شديد: «مرحباً. أعرف أنكما لم تستقرا بعد. لكنني أردت تقديم نفسي.. أنا هيذر لورنس، وهذه ابنتي.. كيلي. نحن نعيش في المنزل المجاور لكما، ونريد الترحيب بكما في الجوار».

قدمت روبن نفسها وهي تفتح الباب وتدعوهما إلى الدخول. كانت هيذر ظريفة ومرحة، وعندما تتحدث، كانت خصلات شعرها القصيرة تتحرك هنا وهناك، وعرفت روبن أنها أمام جارة تستحق الاعجاب. فحرارة هيذر الدافئة أزاحت عنها ترحيب كول كامدن بها.

سألت روبن: «هل ترغبين ببعض القهوة؟».

ـ إذا كنت واثقة أنني لا أضايقك بشيء.

www.elromancia.com

ـ أنا واثقة.

قادتها روبن إلى المطبخ حيث كان جيف يجلس منتظراً.. ونظر إلى أمه نظرة توحي بوجوب إطلاق النار عليها بتهمة الخيانة، ثم تذكر أنه نسي أن الأمهات هن في الواقع «فتيات» متنكرات وخرج من الباب الأمامي.

أحضرت روبن كوبين متماثلين من الخزف وصبت القهوة لصديقتها الجديدة.. وقدمت لكيلي كوب عصير، ثم جلست في كرسي عبر الطاولة في مواجهتهما. وأحست أنها مضطرة للاعتذار: «أنا آسفة بخصوص جيف.. إنه في سن يظن فيه أن الفتيات هن وباء المجتمع».

قالت هيذر مبتسمة: «لا تشغلي بالك بهذا، فكيلي ليست متحمسة للصبيان كذلك».

أعلنت الفتاة: «إنهم بغيضون.. وأنا أفضل ركوب دراجتي على زيارة صبي على أية حال. لكن أمي طلبت مني المجيء معها إلى هنا كي لا تبدو متكلفة.. أليس كذلك أمي؟».

احمر وجه هيذر ونظرت إلى ابنتها بغضب.

ضحكت روبن: «ظننت أنه سيلزمني أسابيع للتعرف على جيراني، ولقد قابلت اثنين في يوم واحد».

ـ وهل زارك شخص آخر؟

ـ لقد قدم كول كامدن نفسه هذا الصباح.

وأبقت عينيها بعيدتين لتخفي السخط الذي تشعر به نحو جارها الجاف. فهي حتى الآن، وبعد ساعات من لقائه، لم تستطع ان تنسى الطريقة التي تصرف بها نحوها ونحو جيف.

هزّت هيذر رأسها باستغراب، وكررت: «كول كامدن.. قدم نفسه؟».

وقطبت، محاولة استيعاب ما سمعته: «بصراحة أظنه كان يفضل أن يتجنبني حتى العصر الجليدي التالي. لكن كلبه أصبح صديقاً لجيف».

فغرت هيذر فمها وأقفلته مرتين.

ـ وهل فعل بلاكي هذا؟

ـ وهل هناك شيء غريب في هذا؟

ـ بصراحة، أجل.. فالقول إن كول كامدن منطوٍ على نفسه أمر لا يحتاج إلى بيان. فأنا لا أظنه كلمني أكثر من حفنة كلمات طوال السنتين.

وصمتت لتستجيب إلى ابنتها التي كانت تطلب الإذن بالعودة إلى المنزل، وقالت لها: «اشكري روبن على العصير حبيبتي».

واستدارت إلى روبن مجدداً، بعد أن خرجت ابنتها من الباب.

ـ إنه يعيش وحده في ذلك المنزل الكبير.. وهذا أمر سخيف حقاً. هل يمكن أن تتصوري كم تبلغ قائمة التدفئة وحدها؟ مع أنني شخصياً، لا أعتقد أن المال يسبب مشكلة له.

لم يدهش روبن أن تعرف أن كول يعيش وحده.. فهي بالكاد قابلت الرجل. لكنها خمنت أن الحياة لم تحمل له الكثير من الفرح، وان أشياء مثل الحب والدفء والصداقة لم تتوفر له، فطردها جميعاً من ذهنه.

أكملت هيذر: «الواضح أنه كان متزوجاً يوماً.. على الأقل هذا ما سمعته، لكنه طلق زوجته قبل وقت طويل من انتقالي إلى هنا».

كانت روبن قد تعاملت مع رجال عدوانيين من قبل، لكن هناك شيئاً في كول صدمها بقوة وعمق.. ولم تكن تعرف ما هو هذا الشيء.

أضافت هيذر: «إنه وكلبه لا ينفصلان».

هزت روبن رأسها.. لقد أخافها في البداية، لكن حين استجمعت شجاعتها، وواجهته بثبات، استرخى قليلاً، وبدا فيما بعد مطمئناً. وعندما سأله جيف عن الأولاد، شهدت روبن آثار الألم في عينيه.

وكأنما بفعل ساحر ظهر ابنها بالباب، وحين رأى أن كيلي قد ذهبت، دخل المطبخ ويداه في جيبي بنطلونه الخلفيين. وسأل هيذر: «هل لديكم كلب؟».

ـ لسوء الحظ لا . . فلدى كيلي حساسية تجاه فراء الحيوانات .

هز جيف رأسه وكأنما ليقول إن هذا بالضبط ما يتوقعه من فتاة .

ـ سنحصل على كلب رعاة ألماني قريباً . أليس كذلك أمي؟

ردت روبن وهي تشعر بالبؤس : «قريباً» .

بعد مغادرة هيذر لا بد أن تخبر جيف بالحقيقة . إنها تنوي فعلاً أن يحصل على كلب ، لكنه سيضطر إلى الانتظار فترة . .

كانت روبن تحب أن تسأل صديقتها الجديدة المزيد عن كول ، لكن اسمه لم يذكر مجدداً . ولم ترغب أن تبدو مهتمة بأمره كثيراً .

بعد مغادرة هيذر ، حضرت روبن نفسها للحديث مع جيف بشأن حصوله على الكلب ، ولسوء الحظ لم تجر الأمور جيداً . فقد بدا ، بعد انتظار عشر سنوات ، أن من غير المقبول ، إضافة أشهر أخرى لها .

قال جيف صائحاً : «لقد وعدتني! قلت لي أنني سأحصل على كلب حينما ننتقل إلى المنزل!» .

ـ ستحصل عليه حبيبي . . لكن ليس الآن .

على غير عادة جيف ، تجمعت الدموع في عينيه . وقاوم ليمنعها ، وسرعان ما أحست روبن بالدموع .

وبعد هذا بقليل ترك المنزل . . وفي محاولة لتهدئة مشاعره المجروحة ، طهت له روبن وجبته المفضلة «معكرونة» بالجبن وقطع النقانق والكثير من «الكاتشاب» .

لم تجده على الرصيف ، أو في الشارع ، فوقفت على الشرفة الأمامية ، تتساءل إلى أين ذهب . كانت دراجته داخل المرآب ، وكان قد أفصح عن وجهة نظره بالنسبة للعب مع أية فتاة في الجوار .

لم تستبعد أن يصعد غاضباً إلى غرفته في نوبة سخط ، وينام . . وأسرعت روبن إلى الطابق الأعلى ، إلى غرفة نومه التي كانت في الجهة الأخرى من الردهة تجاه غرفتها .

كان فراشه مرتباً ، وثيابه معلقة في الخزانة . وقررت روبن أن كل شيء سيعود إلى طبيعته بعد يوم أو يومين .

لكن ، ما إن استدارت لتخرج ، حتى رأت الرسالة على منضدته . . فالتقطتها ، وقرأت السطر الأول ، وأحست بدوار مذعور .

«أمي العزيزة . .

لقد حنثت بوعدك . . قلت إنني سأحصل على كلب ، وتقولين الآن إن عليّ أن أنتظر . . إذا لم أستطع الحصول على كلب ، فلن أعيش معك . هذا وداع إلى الأبد .

مع حبي لك جيف» .

* * *

٢ ـ حاجز القلوب

للحظة، كانت روبن مصدومة صدمة جعلتها لا تستجيب. كان قلبها يضرب بشدة، فيتردد صدى ضرباته كالرعد، حتى كاد يفقدها توازنها.

ركضت تنزل السلم. ووقفت على الشرفة، تضع يديها حول فمها وتصيح مذعورة: «جيف!».

كان كول كامدن واقفاً على شرفته كذلك. أطلق صفيراً مرتفعاً، وانتظر، مترقب. وحين لم يحدث شيء، نادى: «بلاكي!».

نادت روبن مجدداً: «جيف!».

ـ بلاكي!

ونادت روبن جيف مرة أخرى، لكن صوتها تكسر بسبب الذعر الشديد.. وصمتت. ثم وضعت يديها على فمها وأغمضت عينيها في محاولة لاستعادة رباطة جأشها. كان كل شيء فيها ينهار بمرور الوقت.

صاح كول وهو منزعج لعدم ظهور كلبه: «بلاكي!».

ولم يلزم روبن سوى لحظة لجمع اثنين مع اثنين، فركضت على المرجة الخضراء نحو كول وصاحت: «كول.. أعتقد أن جيف وبلاكي هربا معاً».

نظر إليها كول مستغرباً، ولم تستطع لومه.

ـ لقد ترك لي جيف رسالة.. إنه يريد كلباً بأي ثمن، ونحن غير قادرين على اقتناء كلب في الوقت الحاضر لأننا.. حسن جداً لا نستطيع،

واضطررت إلى أن أقول له هذا، فخاب أمله كثيراً، وقرر الهرب.

اشتد ضغط كول على فمه: «الفكرة كلها سخيفة.. حتى لو هرب جيف، فلن يذهب بلاكي معه».

صاحت: «وهل تعتقد حقاً أنني سأخترع شيئاً كهذا؟ آخر مرة رأيت فيها جيف كانت في حوالى الرابعة والنصف.. وأنا واثقة تماماً أن هذا هو وقت اختفاء بلاكي».

ضاقت عينا كول: «إذن، أين هما؟».

ـ هل تظن أنني كنت لأبقى واقفة هنا أتجادل معك لو كنت أعرف؟

ـ اسمعي أيتها السيدة.. أنا لا أعرف شيئاً عن ابنك لكنني أعرف كلبي و..

صاحت روبن وهي تشد قبضتيها إلى جنبيها: «اسمي ليس أيتها السيدة».

كان ينظر إليها وكأنها امرأة هاربة من مستشفى المجانين.. وهذا ما كانت عليه فعلاً بالنسبة لابنها.

ـ أنا آسفة لإزعاجك، عندما أجد جيف فسأعمل على أن يجد كلبك طريقه إلى المنزل.

تطاير الشرر من عيني كول نحوها، لكنها تجاهلته واستدارت بحدة لتركض إلى منزلها. في منتصف الطريق إلى هناك، وقفت مسمّرة.

ـ الحصن!

سأل كول: «أي حصن؟».

ـ ذلك الذي في أبعد زاوية من فنائك الخلفي، إنه مغطى بالأغصان.. اكتشفه جيف في وقت مبكر من اليوم.

قال كول: «لم يذهب أحد إلى هناك منذ سنوات».

ـ أقل ما يجب أن نفعل هو إلقاء نظرة.

كانت هزة رأسه تعني الموافقة على مضض. وسار أمامها إلى الفناء

الخلفي. كانت هناك أيكة صغيرة من شجرة السنديان في مؤخرة الأرض، ومن خلفها سياج مرتفع. بعد بضع دقائق، وفي أقصى مكان منعزل من الفناء بين شجرتين، رأت روبن الهيكل الخشبي الصغير الممتزج مع تضاريس الأرض. ولو لم تكن تبحث عن المخبأ، لما رأته أبداً.

كان واضحاً وهما يقتربان من الفسحة أن شخصاً ما قد حل فيه. وانحنى كول على أطرافه الأربعة ينظر إلى الداخل، ثم نظر إلى خلفه نحو روبن وهو يهز رأسه. . وجذب نفسه بحدة، ساخطاً مما حدث، وزحف برشاقة في المدخل الضيق.

كما توقعت تماماً، كان جيف وبلاكي قابعين معاً في الزاوية، وكان جيف يغط في نوم عميق، وبلاكي متكور إلى جانبه، يحرسه. حين دخل كول وروبن، رفع اللابردوار رأسه، ولوّح بذنبه تحية.

لم يكن الحصن أكبر بكثير من الخيمة التي أقامها جيف في الليلة السابقة. واضطرت روبن إلى رفع ركبتيها معاً ولف ذراعيها حولهما. وبدا أن جسم كول الأكبر حجماً يملأ كل فسحة ممكنة.

لا بد أن جيف أحس أن ملاذه الجديد قد تم غزوه، فارتجفت عيناه ونظر إلى روبن، ثم أدار رأسه لينظر إلى كول.

قال بارتباك خجول: «هاي. . أمي. . أعتقد أنني واقع في مشكلة. . أليس كذلك؟».

كانت روبن ممتنة جداً لأنها وجدته، ولم تقل شيئاً. . لأنها لو حاولت أن تتكلم لاضطرب صوتها، واختنق ألماً.

قال كول بقسوة: «حسن جداً جيف. . كنت ستهرب من البيت، وأرى أنك جئت بكل ما تحتاج إليه معك. . لكن ما أريد أن أعرفه هو كيف أقنعت بلاكي بالانضمام إليك».

رد جيف: «لقد جاء لوحده. . لقد لحق بي».

وتجنبت عيناه النظر إلى كول: «ما كنت سآخذه عن عمد». .

- وأنا مسرور أنك لم تجبره. ما أفهمه من هذا أنك لا تحب الإقامة هنا؟».

أجفل جيف، ثم هز رأسه بشدة: «قالت لي أمي حين انتقلنا إنني سأحصل على كلب. . والآن لا أستطيع. والأسوأ من هذا أنها جرتني إلى جوار مليء بالفتيات. ولم أكن لأكترث لهذا لو كنت أملك كلباً. . لكنها لم تف بوعدها. . والوعد وعد، إنه مقدس».

- إذن، لن يمكنك الحصول على كلب حتى أجل غير مسمى؟

- وكل هذا بسبب سياج غبي.

هز كول رأسه: «السياج أمر هام، أنت تعرف هذا. . وهنا شيء آخر أتعرفه؟ أمك كانت قلقة عليك».

نظر جيف إلى روبن التي كانت تحاول بقوة أن تمنع دموعها من التساقط على وجهها، الإثارة والضغط النفسي استنزفاها عاطفياً في خليط فوضوي غير متجانس. تفرس فيها جيف بلهفة، وسأل: «أمي. . هل أنت بخير؟».

غطت وجهها بيديها: «لقد نمت مع كلب، وهربت أنت. . .

ولم يكن لهذا أي معنى إطلاقاً. وأحست روبن وكأن محدلة مرت عليها، وأن الدموع متى بدأت تنهمر فلن تتوقف. واهتزت كتفاها بارتجاج عنيف.

قال جيف: «أنا آسف أمي. . لم أقصد أن أجعلك تبكين».

همست: «أعرف. . أريد أن تحصل على كلب حقاً، لكننا لا نستطيع الاحتفاظ به والبيت مقفل عليه طوال اليوم، وليس لدينا سياج و. . ولقد نظرت إلي، وأقسم أنني رأيت فيك لوني من جديد».

مد كول رأسه نحو جيف، وتكلم همساً: «من هو لوني؟».

- لوني هو أبي. . لقد مات وأنا صغير جداً. . ولا أذكره أبداً.

شارك كول نظرة تفهم مع جيف: «قد تكون فكرة جيدة أن نعيد أمك

إلى المنزل».

صاحت روبن: «وهل تظنني أصبت بالهستيريا.. أريد منكما معاً أن تعرفا أنني مسيطرة على نفسي تماماً.. فللمرأة أن تبكي بين حين وآخر إذا أرادت. التنفيس عن المشاعر أمر صحي، كل الكتب تقول هذا».

ربت جيف على كتفها بلطف: «صحيح أمي».

ثم زحف إلى خارج الحصن، وانتظر خروجها، ومد لها يده، ولحق بهما كول وبلاكي.

أخذ جيف ذراع روبن، يقبض على مرفقها وهو يقودها نحو الباب الخلفي لمنزلهما.

ما إن دخل الجميع حتى أخذت روبن منديلاً ورقياً.. كانت تشعر أنها منهارة، لكنها حين استدارت إلى كول ودت لو تكون منطقية كالقاضي، ومهذبة كالواعظ.

سأل كول جيف: «هل لديكما أقراص أسبرين؟».

هز جيف رأسه، وأسرع يصعد السلم إلى الحمام، وعاد بعد نصف دقيقة مع زجاجة الدواء، ملأ كول كوب ماء وأعطى الدواء والماء لروبن، كيف عرف أنها تشعر بصداع شديد..

ـ لماذا لا تستلقين لبضع دقائق؟ أنا واثق أنك ستشعرين بحال أفضل.

ردت بحدة، فزعة من ردة فعلها المتطرفة، أكثر من غضبها على أخذه زمام المبادرة: «أشعر أنني على ما يرام.. شكراً لك».

ـ هل لديكما أقارب هنا؟

مرة أخرى وجه كول سؤاله إلى جيف، وهذا ما زاد في سخط روبن.. جيف عمره عشر سنوات! وهي الراشدة. وإذا كان لدى هذا الرجل أسئلة فيجب أن يوجهها إليها، وليس إلى ابنها.

رد جيف هامساً: «لم يعد لنا أحد. جدي وجدتي انتقلا إلى أريزونا في السنة الماضية.. وخالي يعيش في لوس انجلوس».

قالت روبن بغضب: «لا أحتاج أن أستلقي.. أنا بخير تماماً».

قاطعها جيف بصوت مرتجف: «أمي.. لا يبدو أنك بخير».

ارتفع حاجبا كول، وقال بدقة: «كنت تتكلمين عن النوم مع كلب بنفس واحد».

قال جيف: «أعتقد أن السيد كامدن على حق.. أنت تحتاجين إلى الراحة.. وبل إلى الكثير منها».

لقد انقلب ابنها ضدها. ولم تستطع روبن أن تصدق هذا. وأمسك جيف يدها بلطف وقادها إلى غرفة الجلوس الملاصقة للمطبخ، ورفع الوسادة على الأريكة قليلاً، وأشار بصمت أن تضع رأسها فوقها.

ولم تصدق روبن أنها تسمح لنفسها أن تقاد هكذا.. وكأنها جرو صغير. وكأنما قرأ أفكارها إذ تقدم بلاكي إليها، وأطرق بجسمه الكبير على السجادة إلى جانب الأريكة.

ما إن دسّ جيف أطراف البطانية حول أمه، حتى قال كول: «لديك حصن عظيم هناك».

راقبته روبن يعود بسرعة إلى المطبخ، ليأتي بصحن ويملأه بالمعكرونة بالجبن ويقدمه إلى كول، وكأنه يريد من جاره أن يشاركه وجبته المفضلة.

أعاد كول الصحن إلى رف المطبخ: «شكراً لك جيف.. لكن يجب أن أعود إلى المنزل، وإذا فكرت في المستقبل أن تهرب.. فلا تفعل».

قال جيف بنظرة شخص آثم: «أجل.. أعتقد أنك على حق.. لقد عانت أمي كثيراً».

ابتسم كول.. وقال: «ستكون على ما يرام.. إنها تنوي أن تجلب لك كلباً. أنت تعرف هذا.. اصبر قليلاً، وسيكون هذا بأسرع مما تتصور».

سار جيف مع كول إلى الباب الزجاجي المنزلق: «سيد كامدن.. هل أستطيع أن أسألك شيئاً هاماً؟».

ـ بالتأكيد.

ووقف داخل المنزل مباشرة.

ـ هل يستخدم أحد الحصن؟

ـ ليس حسب علمي.

بدا جيف آملاً: «لا يبدو أن أحداً دخله منذ زمن طويل».

ردد كول دون وعي: «منذ ست سنوات».

ـ كل هذه المدة؟ كيف؟ إنه حصن عظيم. وإذا كان لا يزعجك هذا، أحب أن أذهب إلى هناك أحياناً.. وأعدك أن لا أدوس على أي من مساكب الزهور، أو أي شيء آخر، ولن أترك ورائي أي فوضى..

تردد كول للحظة.. ونظر إلى جيف:

ـ ربما في وقت ما مستقبلاً.. لكن ليس الآن.

لمعت عينا جيف:

ـ هذا عظيم.. حين سأتمكن من استخدام الحصن هل أستطيع أخذ بلاكي معي؟ لقد لحق بي اليوم.

صمت جيف وخفض عينيه: «حسن جداً.. ولم أستطع فعل شيء لإقناعه».

ـ هذا ما ظننته. وكما قالت أمك، لديك طريقة خاصة مع الحيوانات.

ـ كان أبي هكذا أيضاً.. ولو لم يمت لاشترى لي حصاناً.

كان في صوت جيف فخر واعتزاز. فجفلت روبن وعضّت شفتها السفلى لتمنع نفسها من البكاء مجدداً، فجيف يشبه لوني كثيراً.

وأخذ كول يحدق في جيف. في عينيه مشاعر لم تستطع روبن أن تسجلها لأنها سرعان ما زالت.. ووضع يده على كتف جيف النحيل.

ـ بما أن أمك قد بينت أن لا سبيل لحصولك على كلب الآن، فلا بأس أن تستعير بلاكي بين حين وآخر. على أن تبقى في فناء منزلك.

ـ أتعني هذا حقاً؟ أوه.. شكراً سيد كامدن، سأفعل أي شيء تقوله.

وشعرت روبن أن جيف كان سيقبل بأي شرط طالما يستطيع رؤية بلاكي.. إنه ليس كلبه، لكنه أفضل ما سيحصل عليه حالياً.

ما إن ابتعد كول، حتى انضم جيف إلى أمه على الأريكة، ويداه مضمومتان في حجره: «أنا آسف أمي.. أعدك ألا أهرب بعد الآن».

ـ هذا ما آمله.

ولفت ذراعيها حوله، وضمته إليها وشرعت في تقبيله.

دعك جيف خده: «أوه.. ما كنت اعتذرت لو عرفت أنك ستقبلينني».

مر أسبوع. وأعجب جيف بمدرسته الجديدة، وكما تكهنت روبن، وجد أن صفه يحتوي على عدد متساوٍ من الصبيان والبنات.. وبشخصيته المنطلقة المنفتحة، جمع بسرعة عدداً من الأصدقاء الجدد.

يوم السبت بعد الظهر، كانت روبن في غرفة الجلوس العائلية تقرأ الصحيفة حين دخل جيف متمهلاً، وجلس في الطرف البعيد من الغرفة.

خفضت الصحيفة لترى ابنها بشكل أفضل وسألته: «هل هناك شيء ما يزعجك؟».

هز كتفيه: «أتعلمين أن السيد كامدن كان متزوجاً؟».

ـ سمعت شيئاً من هذا القبيل.

ـ كان للسيد كامدن ولد لكنه توفي.

انكمش قلب روبن. هذا معقول، بريق الألم الذي رأته حين سأله جيف عن الأولاد كان واضحاً.

ـ أنا.. كيف عرفت هذا؟

ـ من جيمي والاش إنه يسكن على بُعد شارعين من هنا، وله أخ أكبر منه سناً كان يلعب مع بوبي كامدن.. لقد أخبرني جيمي عنه.

تمتمت، وقد أحزنتها المعلومات: «لم أكن أعرف».

ولم تستطع أن تتصور حياتها دون جيف.. ومجرد التفكير بفقدانه

كفيل أن يشطر قلبها نصفين.

ـ سمعت السيدة والاش جيمي يتكلم عن بوبي كامدن وقالت إن السيد كامدن طلق زوجته وكان هذا أمراً سيئاً جداً، ثم بعد سنة تقريباً مات بوبي. وقالت إنه منذ ذلك الوقت لم يعد كما كان. وكأن أحداً قد سلبه عقله وجسده.

تألمت روبن لأجل كول، وندمت على كل الأفكار السيئة التي خطرت لها عندما التقيا ذلك الصباح.

همس جيف مقطباً: «أشعر بالحزن».

وكان وجهه أكثر تجهماً مما رأته من قبل.

وردت بصوت منخفض: «وأنا كذلك».

ـ لقد بدت السيدة والاش مندهشة تماماً حين أخبرتها أن السيد كامدن طمأنني، ووعدني بأن ألعب في حصن بوبي يوماً ما. فمنذ أن مات ابنه، لم يسمح لأي ولد أن يدخل إلى الفناء. وقالت إنه بالكاد يتكلم مع أحد، في الجوار.

وكانت هيذر لورنس قد ذكرت الشيء نفسه من قبل. لكنها لم تقل السبب.. ربما لأنها لا تعرف.

ـ هل ستقومين بشواء الهامبرغر لعشاء الغد؟

هزت روبن رأسها إيجاباً، متعجبة لطريقة جيف في تغيير الموضوع.

ـ إذا أردت.

يحبّ ابنها إضافة إلى المعكرونة بالجبن، «الهمبرغر» المشوي.

ـ هل يمكن أن أدعو السيد كامدن ليأكل معنا؟

كانت روبن تكره أن ترفض طلباً لابنها، لكنها لم تكن واثقة أن الدعوة فكرة جيدة، فهي لا تعرف كول جيداً. ربما يطرح جيف أسئلة عن ابن كول الميت فتكون مؤلمة جداً له.

توسل جيف إليها: «أمي.. أراهن أن لا أحد يدعوه إلى العشاء وهو يعيش وحده».

ـ حبيبي.. لست أدري إذا كان هذا شيئاً مناسباً.

ـ لكننا مدينون له يا أمي.. لقد تركني أرمي العيدان لبلاكي مرتين.

قالت روبن: «لا أظنه في منزله».

والتقطت الصحيفة مجدداً، تزن ما لاقتراح جيف وما عليه.. فمنذ الأحد الماضي، لم تكلم كول مرة واحدة.

ـ سأذهب لأتأكد من وجوده هنا.

وقبل أن ترد، كان جيف قد خرج من الباب الأمامي، وترك الباب يصفق خلفه.

عاد بعد دقيقتين، مقطوع الأنفاس، ومهتاجاً.

ـ السيد كامدن في منزله.. ويقول إنه شاكر لك دعوتك. لكن لديه خططاً أخرى لهذه الليلة.

تمتمت روبن، آملة أن تبدو صادقة: «هذا مؤسف جداً».

ـ قلت له إننا سنأكل الكيك بالفريز كتحلية، فقال إن هذه الحلوى هي المفضلة لديه.

كرهت روبن أن تعترف، لكنها أحست بالراحة لأن كول لن يأتي إلى العشاء. فالرجل يجعلها تشعر بالتوتر وعدم الراحة، ولا تدري ما هو السبب، لكنها تعرف فقط أنه إحساس جديد غير مألوف.

ـ شكراً أمي.

رفعت روبن رأسها عن الصحيفة: «شكراً على ماذا؟».

لم تقرأ كلمة منذ خمس دقائق، فلقد سيطر جارها على أفكارها.

رفع جيف عينيه إلى السماء: «بعد سماحك لي بأخذ قطعة حلوى بالفريز للسيد كامدن».

ـ وهل قلت لك أن تفعل هذا؟

ـ لتوك.

وسار إليها ووضع يده ممازحاً على جبهتها: «أنت لست ساخنة، لكن

مع الصداع لا يعرف أحد شيئاً».

ضربته روبن على قفاه مازحة.

قفز إلى الخارج وهو يضحك، بعد نصف ساعة، عاد إلى المنزل، وأخذ يصيح راكضاً إلى المطبخ: «أمي.. ! أمي! هل تعلمين أن السيد كامدن يملك سيارة بورش سوداء؟».

ـ لا أستطيع القول إنني أعرف.

وكانت مهتمة بتقشير البطاطا المسلوقة للسلطة أكثر من اهتمامها بأمر السيارات الفخمة.

ـ ولديه كذلك سيارة أخرى، مركبة كبيرة ذات دفع رباعي.

سألته روبن: «إلى أين أنت ذاهب أيها الشاب الصغير؟».

ـ السيد كامدن يلمع سيارته.. وفكرت أن أذهب لأساعده.

ـ وهل طلب منك أن تساعده؟

رد بنفاد صبر: «لا».

ـ قد لا يريدك أن تساعده.

رفع عينيه إلى السماء وكأنما ليقول إنها تبالغ في إظهار أمومتها:

ـ أمي! هل أستطيع أن أذهب الآن؟.

ـ آه.. أعتقد هذا.

لكن قلبها بلغ حنجرتها، وتحركت نحو غرفة الجلوس، تراقب جيف وهو يعبر المرجة الخضراء إلى الطريق الداخلية. كان كول منشغلاً في دعك سائل التلميع على سطح البورش اللماع.. ودون كلمة، بدأ جيف يلمع السائل الجاف بقطعته. واستقام كول متوقفاً عن صب السائل فوق البورش.. واضح أنه اندهش لرؤية جيف.. وعضت روبن شفتها السفلى فهي لا تعرف كيف ستكون ردة فعل الجار على مبادرة جيف لمساعدته، وقال شيئاً، فهز جيف رأسه، وسار مبتعداً ليجلس على العشب ثانياً الساقين.. ولم يبد أنهما يتحدثان، ولم تستطع روبن سوى أن تتساءل عما

قاله كول لابنها.

عادت روبن إلى المطبخ، ممتنة لأن رفض طلب كول كان بلطف. قشرت حبة بطاطس أخرى ثم عادت إلى غرفة الجلوس لتنظر من النافذة مجدداً. هذه المرة، اكتشفت أن جيف كان يقف إلى جانب كول الذي كان على ما يبدو، يعرض له الطريقة الصحيحة لتلميع السيارة. كان يقوم بحركات دائرية واسعة بذراعيه، ثم خطا جانباً ليترك جيف يعمل على البورش مجدداً، وهز كول رأسه وابتسم، ثم ربت على رأس جيف قبل أن يسير إلى الجهة الأخرى من السيارة.

ما إن جهزت السلطة حتى قررت روبن أن تخرج إلى الخارج.

توقف جيف ولوح لها بحماس حين لمحها، وصاح: «أليست جميلة؟».

بدت سيارة عادية بالنسبة لروبن، لكنها هزت رأسها بحماس: «رائعة.. يوم سعيد كول».

رد تحيتها ساهماً: «ولك روبن».

كان يرتدي قميصاً دون أكمام رمادي اللون.. أدهشها قوة عضلات ذراعيه ولونهما الأسمر. من خلال حديثها مع هيذر لورنس، عرفت أنه محام بارز، ويبدو أنه يتناسب مع صورة المحامي البارع. لكنه لم يعد هكذا.. فالمحامي تلاشى وها هو الرجل هناك.. إحساسها به كرجل جذاب كله حيوية كان شديداً إلى حد مذهل.

رؤيتها لكل تلك العضلات اللينة الرشيقة فاجأتها.. وعدائية كول زالت كثيراً وهو يمازح جيف.

جاء بلاكي إلى جانبها، ومالت تدلك ما بين أذنيه ولكنها ظلت تتابع تفحص سيده، كان شعر كول أسود ينمو إلى الوراء عن جبينه، لكن خصلة وحيدة كانت تتمرد بعناد على جبينه، وكان يضطر إلى رميها إلى الوراء عن وجهه بين حين وآخر.

لا بد أن جيف قال شيئاً مضحكاً.. لأن كول رمى رأسه إلى الوراء وضحك بصوت مرتفع وكانت المرة الأولى التي تراه يضحك، وعرفت أنه لا يستسلم لمثل هذا الاندفاع عادة.

في تلك اللحظة، حصل شيء غريب. فقد أحست روبن أن شيئاً قد توقف في قلبها.. وشعرت بضعف غير مألوف لديها.

صاح جيف حين لاحظ أنها لا تزال واقفة على الشرفة: «هل تحتاجين أن اشوي لك اللحم؟».

كان قد أدار قبعة البايسبول إلى الخلف وهو يتكلم.

ردت: «ليس بعد».

- جيد.. لأن السيد كامدن يريد مني إنهاء تلميع هذا الجانب. لدينا برنامج محدد هنا. وكول مدعو على العشاء في الخامسة والنصف.

- فهمت.

كانت واقفة بينطلونها الجينز الباهت.

- في أي وقت تنتهي، سيكون رائعاً.

فكرت روبن: إذن لدى كول كامدن موعد. بالطبع لديه موعد.. ولماذا تهتم؟ وإذا كانت مراقبتها لجيف وكول معاً ستؤثر فيها هكذا، فمن الأفضل أن تدخل إلى البيت الآن.

وقت العشاء، لم يتكلم جيف إلا عن كول كامدن.. كل جملة كانت تقول كول هكذا وكول هكذا، إلى أن أصبحت روبن على استعداد أن تضرب قبضتها على الطاولة، وتطلب من جيف أن لا يذكر اسم جارهما مجدداً.

وتابع جيف: «وأفضل جزء في كل هذا، أنه دفع لي لمساعدتي إياه في تلميع سيارته».

ثم دس قطعة الهامبرغر في فمه ومضغ قطعة كبيرة لشدة حماسه.

- كان هذا أكثر من كرم منه.

هز جيف رأسه بحماس: «تأكدي أن توفري قطعة حلوى بالفريز له، طلب ألا آتيه إلى المنزل، لأنه لا يعرف بالضبط متى سيعود.. وسيمر ليزورنا».

- سأفعل.

وشكت روبن أن يفعل جارها هذا. لكن جيف بقي تحت انطباع بأن كول سيظهر في أية لحظة..

وكما كانت تشك، لم يأت كول.. لذا في صباح اليوم التالي تذمّر جيف.. لقد كان مقتنعاً أن كول كان آتياً. وألقى اللوم على والدته لإصرارها على إرساله للنوم مبكراً.

وعادت روبن لإعداد غدائهما الجاهز: «سأصنع الكيك بالفريز في وقت قريب.. حين أفعل، خذ قطعة له».

تمتم جيف: «حسن جداً».

ذلك المساء، حين عادت روبن إلى المنزل من عملها، وجدت جيف يلعب مع بلاكي في فناء كول الخلفي.

صاحت مذعورة فقد خشيت أن يكتشف كول أن ابنها يلعب في أملاكه.

- جيف، ماذا تفعل عند السيد كامدن؟ ولماذا لم تذهب عند السيدة هيذر؟

تقدمت إلى السياج الشجري ووضعت يديها على خصرها، غاضبة من ابنها ذي السنوات العشر.

شرح جيف بخجل شديد: «لقد تعقدت سلسلة بلاكي.. واحتاج إلى مساعدتي.. وقلت لهيذر أن هذا لا بأس به بالنسبة لك و..».

وتلاشى صوته.

قالت روبن: «سلسلته غير معقودة الآن».

- أعرف.. لكن، بما أنني هنا، فقد بدا لي هذا الوقت جيداً لكلينا

أن...

أكملت روبن له: «تلعبا».

هز رأسه بلهفة: «أجل».

كان جيف يعرف تماماً أنه أخطأ، لكنه وجد صعوبة في الاعتراف.

ـ السيد كامدن لا يريد منك أن تلعب في فنائه، وكلانا يعرف هذا.

وعندما كانت واقفة بمحاذاة السياج المكون من شجرة الغار، شاهدت كول يفتح بابه الخلفي ويتجه إلى الخارج.

حين لاحظ كول وجود جيف في فناء داره قطب جبينه، وأرسل نظرة اتهام إلى روبن.

سارعت تشرح: «قال جيف إن سلسلة بلاكي تعقدت».

سأله كول: «وكيف دخلت إلى هنا؟».

لم يرفع صوته إلا أن من الواضح أنه لم يكن مسروراً وأضاف:

ـ البوابة مقفلة، والسياج الشجري أعلى من أن تقفز فوقه.

أطرق جيف برأسه ناظراً إلى العشب: «دخلت عبر فجوة بين الشجيرات.. إنها ذات الطريق التي يستخدمها بلاكي.. زحفت عبرها».

ـ هل كانت سلسلته معقودة حقاً؟

رد بصوت منخفض وجدت روبن صعوبة في سماعه: «لا سيدي، على الأقل ليس كثيراً.. كان يمكن له أن يفكه بنفسه.. لقد فكرت بأنه سيحب صحبتي».

ـ هكذا إذن.

رفع جيف عينيه إلى أمه متحدياً، وكأنها هي المخطئة: «لقد كان وحيداً، وأنا كذلك. أنا أذهب إلى منزل السيدة لورنس بعد المدرسة، لكن المكان هناك مليء بالفتيات.. وأنا أفضل أن يُطلق عليّ الرصاص من أن ألعب بالدمى».

سأله كول: «ألا تذكر ما قلته لك عن مجيئك إلى فنائي؟».

كانت هزة رأس جيف متكاسلة: «أجل.. قلت إنه يمكنني المجيء في يوم ما.. لكن ليس الآن.. وظننت.. أملت، لأنك تركتني أساعدك في تلميع سيارتك أنك لن تمانع كثيراً».

قال كول بصراحة: «لكنني أمانع».

قالت روبن باستعطاف: «لن يفعل هذا مرة أخرى. أليس كذلك جيف؟».

تمتم: «أجل.. أنا آسف سيد كامدن».

حافظ جيف على وعده لأسبوع كامل. لكن حينما عادت روبن نهار الاثنين التالي من محطة القطار السريع أخبرتها هيذر أن جيف اختفى بشكل غامض قبل نصف ساعة. وأنها افترضت أنه ذهب إلى البيت، بسبب مكالمة هاتفية متوقعة.

لسوء الحظ، كانت روبن تعرف بالضبط أين تبحث عنه. لم يكن في البيت.. ولمزيد من سوء الحظ دخلت سيارة كول الطريق الداخلية بينما كانت روبن تفتح بابها.. رمت حافظة أوراقها وحقيبتها وركضت في المنزل. ثم فتحت باب الزجاج المنزلق في المؤخرة وعبرت الفناء.

لكن ابنها لم يكن في مكان تستطيع رؤيته فيه. وأدركت على الفور أنه مع بلاكي، فالكلب لم يكن موجوداً، وقبعة البايسبول المفضلة له ملقاة على المرجة الخضراء.

نادت، بصوت يغلب عليه الخوف: «جيف».

وبدا صوتها وكأنها تعاني من بحة بغيضة. لكن، لم يظهر للصبي أو للكلب أي أثر. حاولت مجدداً ان تصيح بنغمة طبيعية، داعية الله ألا يجذب هذا انتباه كول. وما من جواب.. ولأن جيف وبلاكي لم يكونا على مدى السمع كما يبدو، فقد خمنت أنهما في الحصن.. ولا مجال للتردد، فهي مضطرة أن تذهب خلفه بنفسها. وأملها الوحيد أن تستطيع الإسراع إلى الحصن، وأن تأتي بجيف وتعود إلى فناء دارها، دون أن يشعر

بها كول.

ثبت أن إيجاد الثقب في السياج أمر صعب بما يكفي.. فالفسحة كانت أكثر من مرجة ضيقة بين شجيرتين سميكتين كثيفتين، وللحظات قاسية شكت أن تكون نحيلة بالقدر الذي يسمح لها بالعبور خلالها.

أخيراً انخفضت إلى الأرض، وضمت كتفيها وتمكنت أن تشق طريقها بين الشجيرات.. وكان رأسها قد برز لتوه، حين لاحظت حذاء رجل لماع في الجانب الآخر.. ببطء، وعلى مضض نظرت إلى فوق لترى كول يقف فوقها، وعيناه تضيقان ارتياباً.

قالت: «أوه.. مرحباً».

وقاومت بجهد ليبدو تسللها عبر السياج الشجري أمراً طبيعياً. تستطيع بعده أن تصل إلى الفناء على يديها وركبتيها.

ـ أعتقد أنك تتساءل ماذا أفعل هنا بالضبط..

ـ لقد خطر السؤال ببالي.

***

٣ ـ دمعتان.. له

كررت روبن للمرة الثالثة: «كانت أكثر لحظة محرجة في حياتي كلها».

جلست إلى طاولة المطبخ تقاوم رغبة في دفن وجهها بيديها لتبكي.

تذمر جيف: «لقد سبق أن قلت هذا».

ـ ما الذي جعلك تفكر في الذهاب إلى فناء السيد كامدن مرة أخرى؟ قل لي يا جيف... لقد تلقيت تحذيراً بألا تفعل هذا مرات ومرات، ماذا يجب أن أفعل؟ هل أضع أسلاكاً شائكة بين الفنائين؟

ـ قلت إنني آسف.

لكن مجرد الاعتذار لن يعوض روبن عما لقيته من ذلٍ، وهي تزحف على أطرافها الأربعة، عبر السياج على مرأى أو مسمع من كول. ولو عاشت لتصبح امرأة عجوزاً، فلن تنسى النظرة التي كانت في عينيه.

ذكرها ابنها: «لقد منعتني من التلفزيون والهاتف».

والعقوبة قد تكون غلطة أخرى تضيفها إلى لائحتها المتنامية من الأغلاط. ففي وقت كهذا، كانت تتمنى وجود لوني ليقدم لها النصح.. إنها تحتاج إليه، حتى بعد كل هذه السنين، تشتاق إليه. غالباً ما تجد روبن نفسها، حين لا يكون معها أحد، تتحدث إلى لوني، وتتحاور معه.. بدون تلفزيون أو هاتف، بقي الشكل الوحيد للتسلية بالنسبة لابنها، هو اللعب مع بلاكي، وهذا ما أوصله إلى المتاعب أصلاً.

www.elromancia.com

أحست روبن أنها مضطرة لأن تقول له.. مجدداً: «بلاكي هو ملك للسيد كامدن».

ـ أعرف. لكنه يحبني. حين أعود من المدرسة، يجن. إنه يبتهج حقاً لرؤيتي، فليس هناك الكثير من الصبيان في الجوار..

صمت وكأنه يلومها على هذا: «أنا وبلاكي لدينا ذلك التفاهم.. نحن رفيقان».

ـ يبدو أنك تنسى أن بلاكي ليس ملكاً لك.

ووقفت تفتح البراد وتخرج علبة من صدور الدجاج، في حين تمتم جيف متذمراً: «أتمنى لو كان كلبي».

وتقدم إلى خزانة المطبخ، وأحضر طبقين وبدأ بتحضير المائدة.

بعد العشاء، وبينما كانت روبن تغسل الصحون، رن جرس الباب. ركض جيف في الردهة ليرد ثم عاد بعد لحظة وكول كامدن إلى جانبه.

كان الجار آخر شخص تتوقع روبن أن تراه.. وآخر شخص تريد أن تراه.

قال جيف، يومىء برأسه نحو كول: «أمي.. إنه السيد كامدن».

سعت بجهد لكي يصبح صوتها ناعماً، وقالت: «مرحباً».

وأدركت حتى وهي تتكلم أنها فشلت: «هل ترغب في فنجان قهوة؟».

ـ لا شكراً.. أود الحديث إليكما معاً عن..

هزت روبن رأسها بقوة كادت تخلع عنقها: «أنا حقاً آسفة لما حصل.. ولقد تكلمت طويلاً مع جيف، وبصراحة، أنا أعرف لماذا أنت متكدر ولا ألومك أبداً. لقد كنت أكثر من متفهم، وأريد أن تعرف أن ما حدث اليوم لن يتكرر أبداً».

ـ من كليكما معاً؟

ـ قطعاً.

وعرفت أن خديها توردا.. هل يجب أن يذكرها بالموقف المذل الذي وجدها فيه؟

قال جيف بخجل شديد: «لقد منعتني أمي عن التلفزيون والهاتف لأسبوع كامل.. وأعدك أن لا أعود إلى فنائك مجدداً، سيد كامدن. وأعد ألا أذهب إلى فناء دارنا بعد المدرسة كذلك، لأن بلاكي سيراني عندها ويثور ويهتاج.. وأعتقد أنني سأكون مثله كذلك. فأفعل أشياء ليس من المفترض أن أفعلها».

ابتسم كول لجيف: «أفهم هذا».

ولم تكن ابتسامة من شفتيه بقدر ما كانت من عينيه. ومرة أخرى شهدت روبن أنها ابتسامة غير عادية، ووجدت بارقة ألم، واحساساً آخر يمكن وصفه باللهفة.. وببطء اتجهت عيناه السوداوان إلى روبن، وحين التقتا بعينيها، وجدت نفسها فجأة عاجزة عن التنفس.

قال كول شارحاً: «لم أجىء إلى هنا للحديث عما حدث في وقت سابق ظهر اليوم.. لكنني سأغيب عن المنطقة في اليومين القادمين، وبما أن جيف وبلاكي متفقان على ما يبدو، فكرت أن جيف سيرغب في رعايته. بهذه الطريقة، لن أضطر إلى وضعه في مأوى الكلاب.. وقد اعددت لأدفع له مقابل وقته وجهده.. لو وافق. وسأدعه يلعب في الحصن أثناء سفري».

أصبحت عينا جيف أكثر استدارة مما تذكر روبن أنها رأتهما.. وسأل بصوت غير مصدق: «تريد أن أعتني ببلاكي؟ وستدفع لي؟ هل يمكن لبلاكي قضاء الليل هنا؟ أرجوك؟».

قالت روبن مبتسمة: «أعتقد أن هذا هو الرد على ما سألت».

قال كول لجيف: «بإمكان بلاكي البقاء هنا، إذا لم تعترض والدتك».

واستدار إليها: «هل يخلق هذا مشكلة لك؟».

مرة أخرى أسرت نظراته عيونها.. ومرة أخرى اختبرت الإحساس بعدم القدرة على التنفس.

ـ أنا.. ما من مشكلة أبداً.

ابتسم كول. هذه المرة كانت ابتسامة فعالة دخلت مباشرة إلى قلبها.

* * *

صاح جيف متذمراً وهو يدخل من الباب الأمامي عصر يوم الخميس: «أمي.. كيلي وبلاكي وأنا ذاهبون إلى الحصن».

ـ كيلي؟ بالتأكيد ليست الفتاة التي اسمها كيلي ألبس كذلك؟ ليست من تسكن في جوارنا؟

ولم تستطع روبن إلا أن تمازح ابنها.. واضح أن جيف كان راغباً في أن يتخذ فتاة «مزعجة» صديقة له، على أية حال.

هز جيف كتفيه: «لقد اكتشفت أن كيلي ليست سيئة».

ـ وهل معك قيود بلاكي؟

ـ لن نحتاج إليها..

ـ حسن جداً.. لكن لا تذهب إلى مكان أبعد من «حصن الامو» وعد وقت العشاء.

احتج جيف: «لكن هذا بعد أقل من ساعة!».

ونظرت إليه روبن نظرة تقول لا تجادلني.

ـ لكنني لست جائعاً و..

قالت روبن بنعومة: «جيف».

ووسعت عينيها قليلاً لتزيد من إبراز نظرتها.

قال جيف بصوت مشمئز لم يحاول أن يخفيه: «أتعرفين أمي.. أنت لا تقاتلين بإنصاف».

وأسرع يخرج من الباب الأمامي وبلاكي يجري بإخلاص خلفه.

وهي تبتسم لنفسها، وضعت روبن اللحم في الفرن، وحملت فنجان

القهوة إلى الفناء الخلفي.

واتجهت نظرتها نحو فناء كول كامدن، كان جيف وكيلي وبلاكي داخل الحصن، وتستطيع سماع أصواتهم ترتفع من حين إلى آخر.

احتل كول أفكارها كثيراً في اليومين الماضيين.. ولقد أمضت وقتاً طويلاً تفكر بجارها وابنه الذي فقده.

وفي تلك اللحظة تبدد الهواء بصوت رنين الهاتف.. وسارت روبن متصلبة إلى المطبخ فوضعت فنجان قهوتها على الرف ورفعت السماعة: «آلو».

ـ روبن، هذه أنجيلا.. هل أكلمك في وقت غير مناسب؟

ـ لا.

كانت أنجيلا تعمل في الدائرة ذاتها مع روبن وبمرور السنين أصبحت الاثنتان صديقتين حميمتين.

سألت روبن، كأنها لا تعرف: «ماذا أستطيع أن أفعل لك؟»

ـ أنا أتصل بك لأدعوك إلى العشاء..

ـ يوم السبت كي ألتقي بابن عمك فرانك.

ورفعت روبن عينيها إلى السماء.. منذ سنوات، أخذت أنجيلا على عاتقها البحث عن زوج لروبن.. بغض النظر عن عدم اهتمام روبن بمقابلة الغرباء!

قالت أنجيلا بإصرار: «فرانك شاب لطيف حقاً، وأنا لن أقودك إلا إلى الطريق السويّ».

منعت روبن نفسها من الكلام عن الموعد الكارثي الذي رتبته لها منذ عدة أسابيع.

وقالت أنجيلا: «أنا أعرف فرانك طوال حياتي، إنه لطيف ومهذب».

لطيف ومهذب، كلمتان أصبحت روبن تكرههما. كل رجل قابلته في مثل هذا اللقاء المدبر، كان إما لطيفاً أو مهذباً، أو كليهما معاً. وبشكل

www.elromancia.com

عام كانوا رجالاً طلقوا زوجاتهم.

سألت روبن: «ألم تقولي لي إن فرانك طلق زوجته مؤخراً؟».

ـ أجل.. منذ ستة أشهر.

ـ لست أكترث للأمر.

ـ ماذا تعنين أنك لست مكترثة؟

ـ لا أريد اللقاء به أنجيلا، أعرف أن نيتك حسنة، واعتذر لو أفسدت متعتك، لكنني لا أستطيع أن أذكر عدد المرات التي اضطررت فيها على إرغامي، على مواجهة مطلقين جدد مغرورين. إنهم محطمون عاطفياً في غالب الأوقات.

ـ لكن طلاق فرانك كان نهائياً منذ أشهر عديدة.

ـ إذا بقيت راغبة أن ألتقيه بعد سنة، سأكون أكثر من سعيدة بأن ترتبي لنا موعداً للعشاء.

تنهدت أنجيلا: «أواثقة من هذا؟».

ـ أكثر من واثقة.. متأكدة.

تلا هذا صمت محبط، تمتمت أنجيلا بعده ساخطة: «سأراك في الصباح».

ـ حسناً.. سأحضر معي القهوة.

بقيت روبن في المطبخ مقطبة. إنها تكره أن تضعها صديقاتها في مأزق كهذا. من الصعب بما يكفي أن تقول لا، لكن معرفتها أن نوايا أنجيلا كانت صادقة، جعلت الأمر أكثر سوءاً، وعندما بدأت تقاوم لتوها عذاب الضمير، رن جرس الهاتف مجدداً.. أنجيلا! لا بد أنها وجدت أن عرض روبن بشراء القهوة دليل ضعف منها.

استجمعت شجاعتها وأمسكت السماعة، لتقول بحزم: «أنا لست مهتمة بالخروج مع فرانك، لا أريد أن أكون فظة، لكن هذا نهائي!».

تبع كلماتها المتسرعة صمت مطبق لبرهة، ثم: «روبن، مرحباً، أنا

كول كامدن».

شهقت تغمض عينيها: «كول.. أوه.. أنا آسفة، ظننتك شخصاً آخر، صديقتي».

واستندت إلى الجدار متهاوية وغطت وجهها بيد واحدة.

ـ إنها صديقة متحمسة لتدبير المواعيد لي.. ولا تقبل كلمة «لا» مني. وأعتقد أن لديك أصدقاء يرغبون في ترتيب مواعيد لك، أنت الآخر!

ـ في الواقع.. لا.

بالطبع أجل.. فما من شك أن هناك نساء في كل أنحاء سان فرانسيسكو، يتلهفن للخروج مع كول.. إنه لا يحتاج إلى مدبر زواج شخصي له، كل ما عليه أن يفعل هو أن يبدي الاهتمام وستصطف النساء إلى جانبه.

اشتدت قبضة يدها على السماعة، وأحست بألم بسيط أسفل معدتها. وقالت: «آسفة.. لم أقصد أن أصرخ في أذنك».

ـ لم تفعلي هذا.

قالت: «أعتقد أنك اتصلت لتتحدث إلى جيف، إنه مع بلاكي وكيلي.. كيلي لورنس. الفتاة الصغيرة التي تعيش في الجوار».

ـ هكذا إذن.

ـ سيعود بعد دقائق. إذا أردت إعادة الاتصال به، أو إذا كنت تفضل، سأسرع لمناداته.. لكنني سمعته يذكر شيئاً عن التسلل وطلب النجدة و..

ـ أرجو عفوك.. ماذا يفعل؟

ـ أوه.. إنهم يلعبون في الحصن..

ـ كيف تسير الأمور؟

ـ على ما يرام.

لا بد أنها بدت مستعجلة، فقد أضاف: «هل أنت واثقة أن هذا ليس

وقتاً غير مناسب؟ لو كان معك رفقة..».

ـ لا.. أنا هنا وحدي.

الصمت القصير الذي تلا قطعه كول: «إذن، كل شيء يسير على ما يرام مع بلاكي؟ هل يسبب لكما المتاعب؟».

ـ أوه.. أبداً. كل شيء عظيم، جيف يعامله باهتمام.. وهما معاً في كل دقيقة تقريباً، حتى أن بلاكي ينام إلى جانب سريره.

همس كول: «كما سبق أن قلت، لجيف طريقة خاصة في التعامل مع الحيوانات.

كانت ضحكته دافئة وحنوناً، وأكثر من كافية لتفقدها توازنها.. وكان عليها أن تقرص نفسها لتتذكر أن كول هو محام شهير، ثري ومحترم. وهي محاسبة.. ومحاسبة صغيرة.

الشيء الوحيد المشترك بينهما أنهما يعيشان متجاورين. وأن ابنها مجنون بحب كلبه.

وعاد الصمت، لكنه هذه المرة بدا مريحاً، وغير مؤذ.. وكأن أياً منهما لا يريد لهذا الحديث أن ينتهي.

قال كول على مضض: «بما أن جيف ليس هنا.. سأتركك تذهبين».

ـ سأقول له إنك اتصلت.

ـ لم يكن لشيء هام. أردت فقط أن أعلمكما متى سأعود، بعد ظهر الجمعة.. هل ستكونين في البيت؟

ـ بالطبع.

ـ لن تعرفي.. فقد تقنعك صديقتك على الخروج مع فريد على أية حال.

ـ اسمه فرانك، وليس هناك أمل للخروج معه.

وضحكت ضحكة قصيرة: «أراك يوم الجمعة».

ـ صحيح.. وداعاً.. روبن.

ـ وداعاً كول.

بعد وقت طويل من انتهاء الاتصال، كانت روبن لا تزال تقف ويدها على السماعة وابتسامة تلامس عينيها وقلبها.

* * *

نادى جيف من أسفل السلم: «أمي.. أنا بحاجة إلى نقود للغداء».

ردت: «سأنزل بعد لحظة».

لطالما كان الصباح مجنوناً.. ولكي تصل إلى محطة القطار السريع في غلين بارك في الوقت المناسب، كانت روبن تترك البيت قبل ربع ساعة من مغادرة جيف إلى المدرسة.

سارعت تنزل وهي تنهي زينتها: «ماذا تناولت لفطورك؟».

صاح جيف: «هَيْ ماما.. تبدين رائعة».

دمدمت: «لا تُظهر الدهشة هكذا.. أنا ذاهبة الآن».

قال جيف دون أدنى دلالة على الاهتمام: «حسناً.. لن تتأخري الليلة.. أليس كذلك؟ تذكري أن السيد كامدن سيعود اليوم».

ـ أذكر هذا.. ولن أتأخر.

أخذت لفافة الغداء واتجهت إلى الباب الأمامي. حتى قبل أن تصل روبن إلى محطة «المترو» كانت تعرف أن اليوم سينقضي بطيئاً.. أيام الجمعة هكذا دائماً.

وكانت على حق.. ففي السادسة، حين توقف القطار في المحطة، أحست روبن وكأنها غابت أربعين ساعة لا تسعاً، ووجدت نفسها مسرعة دون أن تعرف لماذا.. كان موعد رجوع كول قريباً، لكن هذا لا شأن لها به.. أليس كذلك؟ عودته إلى بيته ليس أمراً تشعر نحوه بالتوتر، ولا سبب يدعوها أن تكون مسرورة.. إنه جارها فقط.

أول ما لاحظته روبن لدى وصولها إلى شارع «أورتشارد» كانت سيارة كول البورش متوقفة في طريق منزله الداخلية.

ناداها جيف وهو يركض فوق المرجة الخضراء الفاصلة بين المنزلين: «هاي أمي.. لقد عاد السيد كامدن».

أخرجت مفاتيحها من حقيبتها وفتحت بابها الأمامي قائلة: «هذا ما أراه».

لحق بها جيف إلى الداخل.

ـ قال إنه سيتكلم معي فيما بعد.. وأردت أن أدعوه إلى العشاء.. لكنني لم أتمكن من هذا دون سؤالك أولاً.

ـ هذا ذكاء منك.

ووضعت سترتها في الخزانة وهي في طريقها إلى المطبخ، وفتحت البراد لتخرج الهمبرغر ومستلزمات صنع السلطة.

سألت: «كيف كان يومك؟».

جلس جيف إلى الطاولة ووضع مرفقيه عليها: «لا بأس به كما أعتقد، ماذا ستحضرين للعشاء؟».

ـ سلطة تاكو.

ـ ماذا عن التاكو وحده.. لست أدري لماذا تفسدين عشاء جيداً بخلط الخضار مع اللحم.

توقفت روبن: «ظننتك تحب سلطة التاكو التي أصنعها».

هز جيف كتفيه: «لا بأس بها، لكنني أفضل أن أتناول التاكو لوحده».

ما إن أوضح هذا، حتى وضع ذقنه بين يديه: «هل نستطيع استئجار فيلم ڤيديو الليلة؟».

ـ أعتقد هذا.

تمتم: «لكن يجب أن أختار أنا هذه المرة.. الأسبوع الماضي اخترت لنا فيلماً موسيقياً».

اختلاف ذوقهما بالنسبة للأفلام، أسطوري. فمثله مثل معظم الصبيان

في سنه يفضل جيف أفلام الإثارة الدموية.. بينما لم تكن روبن تتحمل رؤية شيء عنيف.. ولسوء الحظ، كان ابنها يغضب لرؤية رجال ونساء يحدقون بشوق في عيون بعضهم البعض.

كان اللحم يغلي في المقلاة حين رفعت روبن رأسها لترى ابنها يفكر، وسألت: «هل هناك ما يزعجك».

ـ هل لاحظت أن السيد كامدن لم يذكر قطُّ أنه كان له ابن؟

وضعت روبن سكين القطع فوق اللوحة.

ـ على الأرجح، من المؤلم له أن يتحدث عن هذا.

هز جيف رأسه.. وبحكمة الطفولة البريئة همس: «ذلك الرجل بحاجة إلى شخص ما».

انتهت الوجبة. وكانت روبن تنظف الصحون في المغسلة حين رن جرس الباب، وعرفت على الفور أنه كول.

صاح جيف وهو يركض متجاوزاً إياها بسرعة خطرة، وفتح الباب بحماسة تكفي لانتزاعه من المفصلات، وقال بلهفة: «هاي سيد كامدن».

في هذا الوقت كانت روبن قد سوت كنزتها المشمشية فوق جنبيها النحيلين، ووضعت ابتسامة ودودة على وجهها.. لكنها لم تكن مفرطة في الود. وأخيراً مررت أصابعها في شعرها، لتبدو طبيعية. ثم تساءلت عن سبب تصرفها المتوتر.. كول لم يأت إلى هنا لرؤيتها.

استطاعت روبن سماع جيف يهذر بسرعة تسعين ميلاً في الساعة، يقول لكول إنهما سيستأجران فيلم ڤيديو، وكيف أن روبن تصر على وجوب أن يكون كل عرض يراه مناسباً لعمره. ادعى أن ذلك سخيف تماماً. ومضى قائلاً إنها تعتبر اختيار الفيلم من مهام الأم.

أخذت نفساً عميقاً وخرجت إلى المدخل مبتسمة: «مرحباً كول».

ـ روبن.

والتقت عيونهما فوراً، وسعت البنيتان القاتمتان إلى الزرقاوين

الفاتحتين. أول أفكار روبن المترابطة كانت أن أية امرأة، يمكن أن تضيع في هاتين العينين القاتمتين، وابتلعت ريقها بشدة، وخفضت نظرها.

وشعرت بصعوبة في إخراج الكلمات من فمها: «هل يعجبك فنجان قهوة؟».

ـ إذا لم يكن في هذا إزعاج.

ـ لا.. أبداً.

على الأقل ليس هناك إزعاج لو استطاعت أن توقف ضربات قلبها، الخافق بجنون.

سأل جيف وهو يفتح الباب السلكي وينظر إلى الخارج: «أين بلاكي؟».

ـ لم آت به معي.. ظننتك ستكون متعباً تماماً منه حتى الآن.

صاح جيف: «أتعب من بلاكي؟ لا بد أنك تمزح!».

قال كول مداعباً: «فهمت. علي أن أطور معلومتي بشكل أفضل».

عادت روبن إلى المطبخ، لتأتي بالفناجين من الخزانة، مستغلة هذه اللحظات القليلة لتسيطر على نفسها.

صفق باب المطبخ السلكي، وبعد لحظة برز كول في المطبخ: «لقد ذهب جيف إلى منزلي لإحضار بلاكي».

هزت رأسها فرحاً، وسألت من أعلى كتفها: «هل تضع الكريما في قهوتك أم السكر؟».

ـ سوداء دون شيء.. شكراً.

في العادة، تشرب روبن قهوتها مثله، لكن لسبب ما لم تستطع فهمه، أضافت ملعقة سخية من السكر إلى فنجانها، وحركته بحدة وكأنها تخشى ألا يذوب.

حملت الفنجانين إلى غرفة الجلوس العائلية حيث اختار كول أن

يجلس.

ـ أرجو أن تكون رحلتك قد تمت على ما يرام.

ـ جداً.

ـ جيد.

وجلست على مسافة آمنة منه، على كرسي خشبي هزّاز، ووازنت فنجانها على ركبتها، وأعلنت: «سار كل شيء هنا دون تعقيد، لكنني أخشى أن يكون جيف قد أفسد بلاكي دلالاً، قليلاً».

ـ مما قاله عرفت أنهما فعلا كل شيء ما عدا الذهاب إلى المدرسة معاً.

ـ لقد كان وجود الكلب أمراً رائعاً له.. وأنا شاكرة لك لأنك أعطيت جيف هذه الفرصة، فهي لم ترضِ حاجته إلى كلب فقط، بل علمته معنى المسؤولية.

انفتح الباب الأمامي، ودخل موضوع حديثهما إلى الغرفة: «أمي.. هل هناك بأس في أن يبقى السيد كامدن معنا ليشاهد الفيلم؟».

ـ آه..

وفوجئت روبن، ولم تعد تعرف ما تقول..

ولدهشة روبن، سعت عينا كول لعينيها وكأنه يطلب موافقتها.

ـ على الرحب والسعة.. أعني، بإمكانك البقاء لو شئت، إلا إذا كان هناك شيء آخر تفضل أن تقوم به.. أعني.. أنني.. أننا سنحب أن تبقى. لكن..

وتركت أي شيء كانت تنوي أن تقوله يتلاشى..

ـ ما هو الفيلم الذي استأجرتماه؟

قال جيف: «لم نستأجره بعد.. عليّ وأمي أن نصل إلى اتفاق أولاً. إنها تحب الأفلام العاطفية، لكن لونها يتغيرّ إذا كان فيها قليل من سفك الدماء. لن تصدق قصة الحب التي أجبرتني على رؤيتها ليلة الجمعة

الماضية».

- ما رأيك لو أذهب معك لاختيار الفيلم بينما تصنع أمك لنا الفوشار؟

أشرقت عينا جيف الزرقاوان على الفور: «سيكون هذا عظيماً.. أليس كذلك أمي؟».

- بالتأكيد.

وأحست بالشكر من ابتسامة جيف المتلهفة.

غادر كول وجيف المنزل بعد دقائق.. ووقفت على الشرفة تراقبهما وهما يصعدان في البورش.. وضعت يدها على عنقها بامتنان حين رأت كول يتطوع لربط حزام الأمان لجيف. ولا بد أن ابنها علق على كيفية دفع أمه له لتضع حزام الأمان، لأن كول نظر نحوها. رفعت يدها مودعة، وفعل كول مثلها، إنها مجرد إشارة بسيطة. مع ذلك أحست روبن أنهما متقاربان، أكثر من قيامهما بوداع عادي.

قالت روبن: «تعال بلاكي.. لنبدأ بصنع «الفوشار»».

وسار الكلب المطيع وراءها إلى المطبخ.. فوضعت الوعاء القديم البالي فوق النار، وسخنت كمية من الزيت، ثم أضافت حبوب الذرة. وبانتظار فقاقيع الذرة تسللت الكلمات من فمها.

- حسن جداً لوني.. ما رأيك؟

التحدث إلى زوجها الميت جاء دون وعي. لم تكن تتوقع طبعاً أن يرد.. وفي أي وقت كانت تتحدث إليه، كانت الكلمات تخرج من عمق بئر الحب الذي صنعاه يوماً.. واعتقدت أنها يجب أن تشعر بالغباء وهي تفعل هذا. لكن في العديد من المرات، وعبر السنوات الطويلة منذ وفاته، كانت تشعر بوجوده وحبه. وافترضت أن رغبتها في الحديث إليه، تعود إلى أنه الشخص الوحيد الذي أحب ابنها كما تحبه.

وسألت مبتسمة: «لقد كبر كثيراً في السنة الماضية.. أليس كذلك؟

لقاء كول بجيف كان جيداً. هو فقد طفلاً، وتعرف هذا، وأعتقد أن سكن جيف إلى جواره قد نبهه إلى حاجة ما في نفسه».

بعد دقيقتين، عاد كول وجيف مع فيلمٍ مناسب، يرضي الجميع. كوميديا للمراهقين جميلة ومسلية.

تمدد جيف على السجادة، يقضم الذرة وبلاكي إلى جانبه، وجلس كول على الاريكة. في ما اختارت روبن الجلوس على الكرسي الهزاز، وخلعت حذاءها، وثنت قدميها تحتها.. وبدأت تستمتع بالفيلم، ووجدت نفسها، عدة مرات، تضحك عالياً.

وضحك كول وجيف كذلك، الأصوات متناقضة: أحدها رجولي عميق، والآخر صبياني صغير. مع ذلك كانا متناغمين، وممتزجين بشكل كامل، وسرعان ما وجدت روبن نفسها تراقب جيف وكول أكثر من مراقبة الفيلم. فالاثنان.. لا.. بل الثلاثة، كانوا سعداء جميعاً..

كانت أحداث الفيلم دائرة حين أشار كول إلى جيف، الذي أراح رأسه على ذراعيه. ولأول مرة لاحظت روبن أن عيني ابنها مغمضتان.

قال كول بصوت منخفض: «إنه نائم».

ابتسمت روبن وهزت رأسها.. ووقفت لتعيد أوعية الفوشار إلى المطبخ.. ووقف كول، وحمل أكواب العصير إلى المغسلة. ثم عاد إلى غرفة الجلوس يعيد ترتيب الفيلم.

سأل، وهو ينظر إلى جيف: «هل تريدين أن أحمله لك إلى الطابق الأعلى؟».

همست: «لا، فحين يستيقظ في الصباح سيظن أنك عاملته كطفل صغير.. فالثقة بالنفس هشة جداً في سن العاشرة».

- أعتقد أنك على حق.

أحست روبن أن الصمت يصرخ فيهماً كالرعد. وقالت، مبددة الصمت: «لطف منك أن تبقى، لقد عنى هذا الكثير لجيف».

كان جيف، قد ذكر أن حياة كول الاجتماعية منفتحة. وعنت مثل هذا هيذر لورنس بقولها إن كول غالباً ما كان يسافر في ختام كل أسبوع. ولم تكن روبن متأكدة مما تفكر فيه فإذا كانت هناك امرأة في حياته، فهذا شأنه وليس شأنها.

كان يقف أمام جهاز الڤيديو، ينتظر انتهاء لف الفيلم، وقال: «لقد عنى هذا كثيراً لي كذلك».

المطبخ، وغرفة الجلوس على سعتهما، لم يبد عليهما ذلك. فقد كان كول يملؤهما بوجوده.

كانت أصابع روبن ترتجف وهي تضع الأطباق وأكواب العصير في آلة الجلي، وحاولت أن تفكر بتعليق مناسب، لكن تفكيرها ذهب هباءً.

قال كول: «يجب أن أذهب».

هل سمعت التردد في صوته؟ بطريقة ما شكت روبن في هذا، ربما كانت رغبتها هي التي أوحت لها بذلك. هذا تفكير وتأمل من جهتها. فنصفها كان يريد أن يدفعه ليخرج من الباب، والنصف الآخر يريد منه أن يبقى. لكن، في الواقع، لم يكن هناك عذر لبقائه.

قالت: «سأسير معك حتى الباب».

نادى كول كلبه: «بلاكي.. حان وقت الرحيل».

ولم يبدُ الكلب سعيداً بهذا. أخذ وقتاً طويلاً وهو يقف على قوائمه، ويمدد جسمه الأسود الطويل، قبل أن يتقدم إلى جانب كول.

كانت روبن على وشك أن تفتح الباب، فتذكرت أنها لم تشكره على الفيلم. فاستدارت إليه وإذا بعينيه القاتمتين تحفران في عينيها. ومهما كانت الأفكار التي تتزاحم في رأسها، فقد طارت مثل أوراق خريفية. حاولت أن تبتسم، ولو بضعف.. لكن هذا لم يكن سهلاً وهو ينظر إليها بعمق فشعرت بالتململ.

أسرت عيناه عينيها في حوار غزلي رقيق، فالذي لم يبح به نطقت به

عيناه، يعترف لها بإعجابه بها.

لقد مضى زمن طويل لم يقترب منها رجل هكذا.. وقت طويل نسيت فيه حلاوة هذه المشاعر..

وكانت صدمة لها عندما تجمعت الدموع في عينيها غير قادرة أن تجد لها سبباً، وتسللت الدموع بصمت على وجهها.

وفي هذه اللحظة أخذت عينا كول تتفرسان في عينيها وهو يرى الدموع تجري على خديها.

سألها هامساً:

ـ لماذا...؟

ـ لا أعرف.

ولم تستطع تفسير شيء لا تفهمه.. أخذت تمسح دموعها بأطراف يديها. وأجبرت نفسها على الابتسام، ورفعت نظرها إليه، وقالت بمرح هش: «أنا غريبة الأطوار فلا أعتقد أن هناك نساءً ينفجرن بالبكاء عندما يغازلهن أحد».

بدا كول مرتبكاً بقدر ما تشعر روبن، وأرادت أن تطمئنه: «لا تشغل نفسك بهذا، أنا بخير».

لكنها كانت تجد صعوبة في فهم ردة فعلها، لتتمكن من ازاحة شكوكه.

ـ دعينا نجلس ونتكلم عن هذا.

قالت بهدوء وصلابة: «لا».

هذا آخر شيء تريده.

ـ أنا آسفة كول.. حقاً آسفة.. فهذا لم يحدث من قبل.. وأنا أجد صعوبة في فهم السبب قدر ما تجده أنت.

ـ لكن..

ـ فلنعزُ هذا إلى أسبوع طويل من العمل المتعب.

ـ ليس الأمر بمثل هذه البساطة.

ـ ربما.. لكنني أفضل أن أنساه.. أرجوك.

ـ هل أنت بخير؟

حاولت أن تمزح: «عاطفياً أم جسدياً؟».

لكنها فشلت: «كلاهما».

كان جاداً كثيراً، ومهتماً، بحيث كان كل ما استطاعت روبن أن تفعله هو ألا تندفع في نوبة بكاء أخرى. إنها تجعل من نفسها غبية من طراز نادر مع هذا الرجل.. وليس مرة واحدة، بل مرتين.

هذا الرجل، الذي عانى من مرارة الفقدان، كان لطيفاً، حنوناً. وبدلاً من اسداء العون ازدادت الأمور سوءاً. قالت بصوت متكسر: «أنا آسفة.. حقاً. لكن، أعتقد أن عليك أن تذهب الآن إلى بيتك».

* * *

٤ ـ ذبذبات قلب

قالت أنجيلا لانسكي وهي تجلس على حافة منضدة روبن بعد ظهر الاثنين: «أتعرفين؟ أنا في مزاج مناسب لأي شيء!».

ردت روبن مداعبة: «آمل بكل تأكيد أن تتولي الطعام».

كانت الاثنتان تتشاركان ساعة الغداء معاً.

قالت أنجيلا: «سلطة القريدس تعلو ستة إنشات، والقريدس كبير وطازج».

قالت روبن: «كنت أفكر بالطعام الصيني كذلك، لكن الآن وقد ذكرت هذا، تبدو لي سلطة القريدس جيدة».

فتحت روبن درج مكتبها وأخرجت حقيبتها.

كانت أنجيلا قصيرة القامة ونحيلة، ذات شعر بني كثيف، يتموج منساباً فوق كتفيها..

قالت أنجيلا بإصرار: «أنا أعرف المكان بالضبط، «السرطان الأزرق» إنه على الميناء، ويستأهل مشقة الوصول إلى هناك».

قالت روبن: «أنا موافقة».

توقفتا في المصرف لصرف صكي راتبهما، ثم اتجهتا إلى المطعم.. وقررتا أن تستقلا الحافلة الكهربائية في شارع ماركت، حتى ميناء الصيادين.. وهناك انضمتا إلى الصف المتزايد بسرعة.

سألت أنجيلا: «إذن، كيف حال ولدك؟».

لم تخطط أنجيلا وزوجها الذي يمتهن البيع، لإنجاب أولاد. لكن أنجيلا كانت تتمتع بسماع أخبار جيف.

ـ لقد سجّل اسمه للعب البايسبول عبر برنامج الحديقة العامة. وبدأ التدريب هذا الأسبوع، وأظن هذا سيكون جيداً له. فقد وجد نفسه وحيداً نهاية الأسبوع، خصوصاً بعدما استرجع كول كلبه بلاكي.

سألت أنجيلا: «لكن ألا يجيء بلاكي إليكم كما كان من قبل؟».

هزت روبن رأسها: «لقد سافر كول يوم السبت صباحاً، ويبدو أنه أخذ كلبه معه. أما جيف فقد أخذ يتسكع مكتئباً في عطلة الأسبوع وكأنه جرو ضائع.. إذا جاز التعبير».

ـ وإلى أين ذهب جارك الوسيم؟

ـ يا للعجب.. وكيف لي أن أعرف؟

وضحكت روبن ضحكة منخفضة، تخفي خيبة أملها من اختفائه.

ـ كول لا يبحث مواعيده معي.

طريقة مغادرته، دون كلمة وداع أو شرح، آلمتها. ربما السبب إدراكها أنها جعلت من نفسها غبية بالكامل، مع هذا الرجل المحنك المجرب الخبير.. حاول مغازلتها، وبدأت بالبكاء، يا الله..

ـ هل تظنين أن كول الآن مع امرأة؟

ـ هذا ليس من شأني!

ـ لكنني أعتقد أن جارتك قالت إنه يقضي نهاية كل اسبوع مع امرأة؟

ولم تذكر روبن أنها ذكرت هذا لأنجيلا. لكن، من الواضح أنها فعلت، إضافة إلى كل شيء، ولقد حاولت روبن إقناع نفسها أن الإفضاء لأنجيلا بما يخص كول، طريقة ذكية كي تكف عن مساعي تزويجها.

ألحت أنجيلا على السؤال: «حسن جداً؟ هل أمضى وقته مع امرأة؟».

ـ ما يفعله بوقته هو من شأنه، وليس من شأني.

تظاهرت روبن بعدم الاكتراث.. لكنها في الواقع كانت مكترثة..

كثيراً، ووعدت نفسها أنها لن تعطي اهتماماً كبيراً للجاذبية القوية التي تشعر بها نحوه.

تمتمت أنجيلا: «كنت آمل أن يتطور شيء بينكما.. بما أنك لست مهتمة بفرانك، فسيكون أمراً عظيماً لو كان بينك وبين جارك شيء ما».

نظرت روبن إليها نظرة ملؤها الكآبة.

ـ يعيش كول كامدن في أفخم منزل في الجوار. وهو شريك في مؤسسة محاماة «بلاكسويل بورنز، دايلي» وكلانا يعرف أنها أشهر مؤسسة في سان فرانسيسكو، ويقود سيارة باسم يصعب عليّ أن أتلفظه.. فماذا يمكن لشخص مثل هذا أن يرى فيّ؟

ـ كثيراً من الأشياء.

ضحكت روبن ضحكة مكبوتة: «أكره أن أخيب ظنك يا صديقتي.. لكن الشيء الوحيد المشترك الذي بين كول كامدن وأنا، هو أن فناء داري الصغير يقع على حدود منزله الواسع».

رفعت أنجيلا حاجبيها: «ربما، لكنني لاحظت شيئاً مختلفاً على ملامحك منذ أول مرة ذكرته فيها».

ـ هذا أمر مضحك!

قالت أنجيلا بإصرار: «ليس مضحكاً.. لقد راقبتك مع رجال آخرين في ما مضى من سنين، وما يكاد الرجل يظهر بعض الاهتمام.. حتى تقطعي العلاقة دون إعطاء أي فرصة له».

لم تستطع روبن أن تجادل، فهذا صحيح، لكنها احتجت على أية حال: «لا أستطيع فعل شيء إذا كانت لي مقاييس مرتفعة».

كتمت أنجيلا ضحكة: «مقاييس مرتفعة! لا بد أن هذه كذبة القرن.. أنت تجدين العيب حتى في أمير الأحلام».

أدارت روبن عينيها، لكنها لم تستطع منع نفسها من الابتسام.

وتابعت أنجيلا: «منذ أول يوم ذكرت فيه جارك، لاحظت شيئاً

مختلفاً.. وبصراحة، أثارني هذا. طوال السنوات التي عرفنا فيها بعضنا، هذه أول مرة أذكر أنك تعاملين فيها رجلاً بمثل هذا الاهتمام حتى الآن، كان الأمر دائماً على العكس».

تمتمت روبن: «أنا لست مهتمة بكول.. صدقيني أنجيلا، لا أستطيع أن أتصور من أين تأتين بكل هذه الأفكار.. أعتقد أنك تقرأين قصصاً رومانسية كثيرة».

لوحت أنجيلا بسبابتها في وجه روبن: «اسمعي صديقتي.. أنا ضدك، ولن أدعك تلهينني بمرحك، لتتخلصي من الاعتراف، ولن تستطيعي خداعي.. أنت منجذبة إلى هذا الرجل، وهذا يخيفك حتى الموت.. صحيح؟».

نظرت المرأتان بوقار لبعضهما.. أكثر عناداً من أن تعترفا بالهزيمة. لكن، تحت قوة تصميم صديقتها الذي لا يلين، كانت روبن هي التي استسلمت أخيراً.

صاحت: «حسن جداً...!».

وهذا ما لفت أنظار الناس الذين كانوا ينتظرون القطار الكهربائي وينظرون إليهما.

- حسن جداً. يعجبني كول.. لكن، لو كانت حياتي متعلقة بهذا، فأنا لا أفهم السبب.

ارتفع حاجبا أنجيلا باحتجاج بالغ: «إنه جذاب وثري، ويحب ابنك بجنون، كريم... رقيق... فكري في الأمر بعد؟».

- مستواه كذلك اعلى من مستواي.

- أتمنى لو تتوقفين عن تصنيف نفسك.. تجعلين الأمر يبدو وكأنك لست كفؤاً له. وهذا أمر سخيف.

تنهدت روبن وظهرت العربة الكهربائية، فصعدت روبن وأنجيلا إليها وتمسكتا جيداً.

سرعان ما انغمست روبن وأنجيلا في جو الصيادين الاحتفالي في مرفأ «فيشرمان وارف». صفوف مراكب الصيد على طول المرسى كانت تتمايل بلطف مع الموج.. ومع أن روبن لم تكن قد زارت شواطىء المتوسط، إلا أن المنظر ذكرها بصور رأتها للموانىء الفرنسية والإيطالية.

كان النهار جميلاً.. السماء زرقاء خالية من الغيوم. والمحيط يلمع وكأنه في يوم صيف، وفي الواقع كان الربيع برمته دافئاً. ولم يكن من غير المعتاد أن ترتدي روبن معطفاً شتوياً وسط شهر تموز، خاصة أوقات الصباح.

لمحت أنجيلا طاولة فارغة في المطعم، واقترحت: «دعينا نأكل في الهواء الطلق».

وافقت روبن بمرح: «حسن جداً».

كان «السرطان الأزرق»، مطعماً مشهوراً.

ما إن جلسنا، حتى جرى الاهتمام بهما على الفور، وطلبنا سلطة القريدس.

وتنحنحت أنجيلا، وهي تفتح منديل الطعام فوق حجرها، وتتفرس بروبن عن كثب.

- إذن.. أخبريني المزيد عن جارك.

جمدت روبن: «ظننت أننا انتهينا من هذا الموضوع. ألم تلاحظي، أنني أفضل عدم الحديث عن كول».

- بلى لاحظت هذا. لكن لسوء الحظ.. لقد حان الوقت، روبن ماسترسون، لتخبريني بكل شيء.

ردت روبن غاضبة: «ليس هناك شيء أتكلم عنه..».

وتساءلت لوقت قصير عما إذا كانت أنجيلا قد خمنت شيئاً.. وبالمعدل الذي تسير فيه الأمور، على الأرجح ستنتزع الحقيقة منها قبل

انتهاء الوجبة.

وصل كوبان كبيران من الشاي المثلج، وكانت روبن تمد يدها لتأخذ مكعب سكر حين سمعت صوت رجل يضحك، ذكرها على الفور بكول. جمدت، تسترق السمع إليه... ودون وعي، وجدت نفسها تفتش الطاولات، فقد أيقنت أن كول يجلس على مسافة قصيرة منها.

وهمست قبل أن تلجم لسانها: «إنه هنا».

- من؟

- كول، لقد سمعته يضحك.

دفعت روبن كرسيها إلى الوراء لتحصل على نظرة أشمل إلى داخل المطعم.. وفتشت في بحر من الوجوه، لكنها لم تجد وجه جارها.

همست أنجيلا: «كيف شكله؟».

عشرة طرق لوصفه قفزت إلى رأس روبن.. القول إن له شعراً بنياً، مسرحاً بدقة، وعينين بلون القهوة، ويبلغ ستة أقدام وإنشين طولاً، بدا شرحاً غير ملائم. وإذا ما أضافت أنه جذاب بشكل مرعب، وبطرق لا تعرف كيف تشرحها فإنها ستزيد المشكلة تعقيداً.

قالت أنجيلا بإصرار: «قولي لي عم سأبحث.. هيا روبن، هذه فرصة ذهبية.. أريد أن أنظر جيداً إلى الرجل. ولن أترك فرصة كهذه تفلت من بين أصابعي. أراهن أنه رائع».

على مضض، تابعت روبن تفتيش الوجوه. لكنها لم ترَ أي شخص يشبه كول، ولو من بعيد.

فجأة خفق قلبها بين ضلوعها بقوة، فقد رأت كول يسير خارجاً من المطعم.. لم يكن وحده.. بل كانت ترافقه امرأة نحيلة طويلة، ذات جسم جميل رياضي يشبه جسم راقصة الباليه، امرأة شقراء، وبكلمة واحدة، رائعة الجمال.

أحست روبن أنها مثل نبات اللبلاب مقارنة معها.. كانت المرأة

تمشي بمحاذاة كول، وكانت تبتسم له.

وانكمشت معدة روبن بألم شديد.

مالت أنجيلا إلى الامام وقالت بلهفة: «روبن.. ما بالك؟».

- لا شيء.

عدا عن شعورها بالغثيان، عدا عن واقع أنها لم تشعر من قبل بمثل هذه المهانة.

كان كول يمر قربهما.. ولئلا يراها دست روبن رأسها بسرعة تحت الطاولة، متظاهرة بالبحث عن حقيبتها.

أخفضت أنجيلا رأسها تحت الملاءة: «روبن، ما بك؟».

- أنا بخير حقاً.

وارتجفت ابتسامة على شفتي روبن الشاحبتين.

- إذن، ماذا تفعلين ورأسك تحت الطاولة؟

- لا أعتقد أنك ستصدقين لو قلت لك إن منديل الطعام وقع تحت الطاولة؟

وظهر حذاء أسود لماع.. ببطء، وعلى مضض، لوت روبن رأسها ونظرت إلى فوق، ضاقت عيناها لوهج الشمس الذي كاد يعميها.. وكان هذا هو الساقي.. وتنهدت ارتياحاً، استقامت روبن.. وأول شيء لاحظته أن كول غادر المكان.

نسيت طبق سلطة القريدس الضخم.. وضاقت عينا أنجيلا، ووضعت مرفقيها على الطاولة بمواجهتها.

- لقد رأيته.. أليس كذلك؟

ولن يفيد الادعاء بالعكس، فهزت رأسها: «أفهم من هذا أنه كان مع شخص آخر؟».

- ليس مجرد شخص آخر.. ملكة جمال الكون.

- هذا لا يعني شيئاً.. ألا تعتقدين أنك استنتجت ما هو غير صحيح،

فهي.. يمكن أن تكون أي شخص آخر.

ـ هذا صحيح.

تلاشت أي قدرة على المقاومة من نفس روبن.. لم يكن هناك أي شيء يماثل رؤيتها لكول مع امرأة أخرى.

قالت أنجيلا: «قد تكون زبونة لديه».

مدت روبن يدها إلى شوكتها، وردت: «على الأرجح».

ولم تعرف كيف ستتمكن من تناول قطعة قريدس واحدة.. لحظتها نظرت إلى الشارع. كان كول وملكة جمال الكون، يسيران جنباً إلى جنب فوق الرصيف، يتبادلان النظرات. ولسبب ما، لم يحدثه سوى القدر، نظر كول في تلك اللحظة بالذات.. وانصبت نظرته مباشرة عليها. وتوقف فجأة، وكأنه صدم لرؤيتها.

قامت بأفضل ما يمكنها للإدعاء بأنها لم تره، وأخذت قضمة أخرى من السلطة ومضغتها بشدة.. حين رفعت رأسها مجدداً، كان كول قد ذهب.

***

قال جيف متوسلاً: «أمي، أنا بحاجة إلى شخص أتدرب معه».

كان يقف شبه يائس أمامها، وقفاز بايسبول في يد، وكرة في الأخرى.

ـ ظننت أن جيمي سيتدرب معك.

ـ لقد اضطر إلى الذهاب إلى بيته. ثم رمت لي كيلي عدة ضربات، وعادت إلى بيتها كذلك. إضافة إلى أنها فتاة.

صاحت روبن: «وأنا ماذا؟ كبد مفرومة؟».

من الواضح أن جيف لم يدرك تماماً ما تعنيه، فرد قائلاً: «أنت أمي.. ألا ترين هذا؟ لدي فرصة أن أصبح ماسك الكرات للفريق لو ظفرت بمن أتدرب معه!».

أجابت روبن بتذمر: «حسن جداً».

وضعت قفل الإبرة من يدها ولحقت بابنها إلى الفناء الخلفي. فأعطاها قفازاً قديماً، كان بالكاد يتناسب مع يدها. وجعلت ظهرها باتجاه فناء منزل كول.

لم تتمكن روبن من تجنب جارها تماماً في الأسبوع الماضي. لكنها تمكنت من البقاء بعيدة عنه.. لم يبدُ عليه أنه متلهف للقائها، وهذا أفضل، كما تعتقد.

ركض جيف إلى أبعد طرف في الفناء وصاح: «حسناً.. اجلسي القرفصاء».

صاحت روبن ساخطة: «أرجو عفوك؟ لقد وافقت أن اشاركك في التقاط الكرات.. ولم تقل شيئاً عن جلوس القرفصاء هذا».

قال جيف بنفاد صبر: «أمي.. فكري بالأمر، إذا كنت سأكون رامي الكرة، يجب أن تكوني أنت من يلتقطها وكل من يلعب في التقاط الكرة يجب أن ينخفض نحو الأرض».

تمتمت روبن متذمرة من بين أسنانها، وغاصت على ركبتيها، وهي قلقة من أن يلطخ العشب بنطلونها الجينز.

لف جيف ذراعه في الهواء وأطلق كرة سريعة. فأغمضت عينيها، ومدت القفاز، وأصيبت بصدمة حين التقطت الكرة. وسقطت إلى الخلف فوق العشب المبلل.

ركض جيف نحوها وصاح: «هل أنت بخير؟».

ـ أنا بخير.. بخير..

حاولت أن تخفف من قلقه، وبدأت تمسح ما علق ببنطلونها من رطوبة. واستوت واقفة بانتظار الكرة التالية.

ركض جيف إلى موقع رميه المفترض، واضعاً يديه خلف ظهره، وتقدم إلى الأمام.

صاح جيف: «جاهزة؟».

- جاهزة.

جلست القرفصاء ومدت القفاز، استعداداً لالتقاط الكرة السخيفة، فقد بدا هذا مهماً جداً لابنها. مرة أخرى، لوّح بذراعيه إلى خلفه.. ثم خطا إلى الأمام ووقف حيث هو، متهيئاً للرمي، لكن ركبتيها بدأتا تؤلمانها.

سألت بعد وقت غير قصير: «هل سترمي الكرة أم تظل تحدق بي طوال الليل؟».

رمى جيف قفازه إلى الأرض، وصاح: «هذا يكفي.. لقد بددت ما ركزت عليه».

تمتمت: «وماذا هناك لتركز عليه؟».

شعرت بالتعب في ساقيها، فنهضت واقفة.

صاح جيف مجدداً، وهو يتقدم نحوها: «هذا لن ينفع.. كيلي في الصف الثالث وتقوم بعمل أفضل منك».

قرت روبن ترك هذا التعليق يمر.. وضغطت يدها على أسفل ظهرها، آملة أن تتخلص من الألم الذي بدأت تشعر به.

- مرحباً روبن، جيف.

وصل صوت كول إليها وكأنه حبل المشنقة. فاستقامت فجأة، وتأوهت للألم الذي اجتاح ظهرها.

صاح جيف وكأن كول بطل منتصر عائد من الحرب: «هاي سيد كامدن!».

وركض في الفناء، متجاوزاً روبن مباشرة إلى شجيرات السياج.

- أين كنت طوال الأسبوع؟ لم احظ برؤيتك.

- كنت مشغولاً.

إنه يتحدث إلى جيف، لكن عينيه كانتا تأسران عيني روبن..

وحاولت أن تشيح بنظرها.. لكنها لم تستطع ذلك.

قالت لها عيناه إنها كانت تتجنبه. وردت عيناها إنه كان يتجنبها.

قالت لها عيناه إن الوقت حان لتتغير الأمور. واقترحت عيناها أنها تفضل أن تبقى الأمور كما هي.

قال جيف: «خمنت أنك كنت مشغولاً. فأنا لم أرك منذ أيام».

وخرج بلاكي من بين الشجيرات، وخر جيف على ركبتيه، وأحاط عنق الكلب بذراعيه.

سأل كول: «إذن، كيف تسير لعبة البايسبول؟».

نظر جيف إلى أمه باشمئزاز، ثم هز كتفيه: «لا بأس.. كما أعتقد».

- في أي مركز تلعب؟

- في أقصى الملعب.. ولدي فرصة أن أصبح الرامي.. لكن لا يبدو أنني سأجد من يجيد الالتقاط ليعمل معي. لقد حاولت كيلي، لكنها فتاة.. وأكره أن أقول، إن لا فائدة من أمي.

احتجت روبن: «لقد قمت بجهدي».

- إنها تلتقط الكرة وعيناها مغمضتان.

قال كول: «ما رأيك لو ترمي لي بضع كرات؟».

رفرف جيف عينيه وكأنه أساء فهم ما قاله جاره.

- تريدني أن أرمي لك بضع كرات؟ أنت متأكد؟

- قطعاً.

كانت النظرة على وجه جيف تتحدى أي وصف، بينما كان كول يقفز من فوق السياج.. تمددت ابتسامة جيف من جانب وجهه إلى الجانب الآخر. وهو يركض إلى الجانب الأبعد من الفناء غير راغب أن يستفسر عن كرم كول مرة أخرى.

بقيت روبن حيث هي، لا تدري ماذا تقول. كان قلبها ممتلئاً بالشكر كامتلاء وجه جيف بالابتسام. ورفعت نظرها إلى كول، مشاعرها تحلق في

السماء.. وتتعقد كخيوط طائرة ورقية أمام ريح حادة.. كانت ممتنة بعمق لعرضه، لكنها كانت مرتبكة لوجوده، وخائفة كذلك.

تمتم جيف: «أمي؟ في حال لم تلاحظي، أنت تقفين في الطريق».

سألها كول: «هل ستصنعين القهوة وتطلبين مني الدخول وتبادل الحديث، فيما بعد؟».

غار قلبها إلى قعر معدتها.

ـ لدي بضع أشياء أفعلها، و.. و..

صاح جيف مجدداً: «أمي؟».

قال كول وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: «أعتقد أنه حان الوقت لنتكلم».

ـ أمي.. هل ستتحركين أم لا؟

نظرت بذعر من فوق كتفها وهمست: «أوه.. أوه.. آسفة».

واحمر وجهها. وأسرعت مبتعدة، ثم وقفت على الشرفة تراقبهما.

أذهلها كيف أن قلبها كان يدق بشدة واهتياج. وشغلت نفسها بمسح الرفوف بالرغم من نظافتها محاولة عدم التفكير بالحسناء التي رأتها مع كول عند الميناء.

دخل جيف كالعاصفة إلى المطبخ بعد ربع ساعة: «أمي.. هل هناك مانع لو علق السيد كامدن إطاراً قديماً في شجرة التفاح؟».

ـ لا أعتقد هذا.. لماذا؟

ـ قال إنني سأتمكن من استخدامه للتدريب على الرمي.. ولن أحتاج إلى إزعاجك أو إزعاج كيلي.

ـ لكن، لا أعتقد أن لدي إطاراً قديماً.

ـ لا تقلقي.. لدى السيد كامدن واحد منها.

وركض إلى الخارج قبل أن تعلق.

عاد جيف مع كول إلى الفناء بعد دقائق، في وقت كان أسرع من أن

يناسب روبن. وأجبرت نفسها على تصنع ابتسامة خفيفة.. المرأة الأخرى هي المناسبة لهذا الفارس ذي الدرع اللماع.. من ناحية أخرى، تعتبر روبن نفسها مهرجة البلاط.

أفكارها السخيفة توقفت فجأة حين دخل إلى المطبخ، يلحق به ابنها.. وسأل بأدب: «ألم يحن وقت حمامك جيف؟».

بدا للحظة، أن الصبي سيلجأ إلى الجدال.. ولأول مرة في ذاكرتها، كانت روبن سترحب منه بشيء من المقاومة.

لكنه قال: «أعتقد هذا».

قالت روبن بصوت منخفض: «لم أصنع القهوة».

ببساطة، لم تكن قادرة على النظر إلى كول دون أن تتخيل الشقراء الجميلة إلى جانبه. قال: «لا بأس.. أنا مهتم بالحديث أكثر من شرب القهوة على أية حال».

وسار إلى الطاولة متعمداً، وجر لنفسه كرسياً، وأشار إليها أن تجلس. ولكنها لم تجلس، بل تفحصت ساعتها: «يا إلهي.. هلا نظرت إلى الوقت؟».

اتجه كول نحوها: «لا».

وتراجعت ببطء نحو رف المغسلة.

قال كول: «ستتكلم عن لقائنا الأخير».

همست: «أرجوك.. لا تقل شيئاً.. لم يعن ما حصل شيئاً! كان كلانا قد مر بأسبوع محموم.. وكنا متعبين.. ولم أكن على طبيعتي».

حرقت عيناه عينيها: «إذن.. لماذا بكيت؟».

ـ لا أعرف. صدقني.. لو كنت أعرف لقلت لك، لكنني لا أعرف.. ألا يمكن أن تنسى ما حصل؟

ارتفع كتفاه بتنهيدة ثقيلة وهو يمرر أصابعه في شعره: «هذا بالضبط ما كنت أحاول فعله طوال الأسبوع.. ولسوء الحظ، لم أنجح».

٥ ـ مختلفان ولكن . . .

تابعت روبن سلسلة كذبها، وقالت: «لقد أبعدت هذا الأمر عن تفكيري تماماً، وأتمنى لو تفعل مثلي».

قال بصوت منخفض: «لا أستطيع . . صدقيني . لقد حاولت».

ابتسم، واتسع فمه، وتابعت عيناه التشبث بعينيها . . وعادت الرسائل . . رسائل أقل مكراً: لن تستطيعي خداعي . . وأنا لا أريد أن أعترف بهذا أيضاً.

ـ أنا . .

الإحساس بالأمل، كان مكتوباً بخط واضح وصريح على وجهه . ولم تستطع روبن انتزاع عينيها عنه، ولو كلفها هذا حياتها.

وإزاء قربه منها تملكها شعور بالضعف، لم تشعر به منذ وفاة زوجها.

مهما حاولت الإنكار، فقد عرفت في داخلها، كم كانت راغبة في أن يظهر لها مشاعره تجاهها . . ولعله قرأ اللهفة في عينيها، فلم يعد يستطيع منع نفسه.

من خزين قوة لم تكن تعرف أنها تملكه، تمكنت روبن أن تهز رأسها: «لا . . أرجوك».

همس: «بلى . . أرجوك».

وتنهدت، ولم تستطع أن تمنع نفسها. فقربه السحر بعينيه . . والأسوار الحارسة لقلبها أصبحت مهددة للمرة الأولى منذ عشر سنوات.

وامتلأ ذهنها بافكار مغرقة بالمشاعر . . إنها تشعر بالسرور والأمان بقربه . . لكنها تعرف أن هذا إحساس خادع . . لقد رأته مع امرأة أخرى، امرأة تناسبه أكثر بكثير مما يمكن أن تكون هي يوماً. ولأيام طويلة، وقعت تحت عذاب شعورها أن تلك المرأة، هي التي يقضي معها على الأرجح عطلات نهاية الأسبوع.

همس كول: «لماذا تصدينني بقوة هكذا؟».

سمعت صوت وقع أقدام تقفز نزولاً عن السلم . . ومخافة أن يجدها جيف بقرب كول، ابتعدت عنه بسرعة واستدارت لتنظر إلى خارج النافذة المظلمة . . آملة أن تستطيع في لحظة تمالك نفسها.

دخل جيف الغرفة، وسأل والدته: «حسناً أمي . . ما رأيك؟».

ـ في ماذا؟

ـ في السيد كامدن . . هل يروق لك؟

ـ هل تريد مني تقييماً؟ مثل من الواحد إلى العشرة؟

رفرف جيف بعينيه، متردداً، فطارت نظرته المتسائلة إلى كول.

قال كول من زاوية فمه: «أنا أعطيها عشرة».

ردت روبن: «وهو . . سبعة زائد».

صاح جيف ينظر إليها باستخفاف: «سبعة زائد؟».

هز رأسه وتقدم إلى كول ليقول: «لا تعرف كيف تقيّم الرجال. أعطها قليلاً من الوقت وستعود إلى رشدها».

شهقت روبن: «جيف!».

وأذهلها أن يدور مثل هذا النقاش مع ابنها، بغض النظر عن كول، الذي كان يبدو معتداً بنفسه.

أضاف جيف: «إنها لا تخرج مع أحد أبداً، ولدى أمي صديقة تدبر لها المواعيد . . ولن تصدق شكل الرجال الذين خرجت معهم . . ».

صاحت روبن بحدة: «جيف . . هذا يكفي!».

ـ لكن على أحدنا أن يشرح الأمر.

قالت روبن وهي تنظر إلى جارها، متحدية إياه أن يكذبها: «كان السيد كامدن على وشك الرحيل».

قال: «كنت سأرحل؟ أوه.. أجل. كانت أمك على وشك أن توصلني إلى الباب.. أليس هذا صحيحاً روبن؟».

فغرت فاها في وجه كول وهو يقودها بلطف في اتجاه الباب الأمامي، وأذعنت طائعة. لكن ليس قبل أن ترى جيف يضم يده ويرفع إبهامه نحو كول.

وقف كول بالباب وسألها:

ـ حسن جداً.. أريد أن أعرف ما هو الغلط.

ـ غلط؟ لا شيء.

ـ الأمر بسبب ڤيكتوريا.. أليس كذلك؟

ـ ڤيكتوريا؟

وعرفت أن هذه لا بد أن تكون المرأة التي كانت معه.

ـ أجل ڤيكتوريا.. لقد رأيتك تختبئين تحت الطاولة، لتتظاهري بعدم رؤيتي.

وكرهت كيف ارتجف صوتها: «أنا.. ولماذا أهتم؟».

ـ أجل، لماذا تهتمين؟

لم ترد عليه. لم تستطع أن تجيبه، وأقنعت نفسها أن ليس من المهم أن يكون مع امرأة أخرى...

قال بإصرار: «أخبريني».

اطرقت روبن بنظرتها. ليته يتوقف فقط عن النظر إليها هكذا.

ـ لقد بدوتما متناسبين معاً.. كانت متممة لك.. إنها طويلة وشقراء و..

ـ وباردة كجبل الجليد.. ڤيكتوريا زميلة عمل. تناولنا الغداء معاً..

لا شيء أكثر.. وأنا أجدها مقبولة مثل.. مثل الغسيل المتسخ.

ـ أرجوك.. لا تشرح لي شيئاً.. ليس من شأني مع من تتناول الغداء أو أين تذهب نهاية كل أسبوع، أو مع من تكون، حقاً. ما كان يجب أن أقول شيئاً.. ولست أدري لماذا فعلت.. كانت غلطة مني، غلطة كبيرة. ولا أستطيع أن أصدق أننا نتكلم عن هذا.

أطل رأس جيف من المطبخ: «كيف تسير الأمور هنا؟».

ردت روبن: «جيدة.. كنت أقول لكول تواً كم نحن ممتنان لمساعدته لك في الرمي».

أكد جيف: «كنت أواجه مشكلة حقيقية إلى أن وصل كول. الفتيات جيدات لشيء ما لكن البايسبول الحقيقي ليس لهن».

فتحت روبن الباب الأمامي، وهمست: «شكراً.. لكل شيء».

صاح جيف بركض إلى الباب: «هَيْ كول.. لدي مباراة بايسبول ليلة الخميس.. هل يمكنك أن تأتي؟».

رد كول وعيناه في عيني روبن: «سأحب هذا».

ثم استدار فجأة وسار إلى خارج الباب.

***

ـ جيف، ستتأخر عن موعد المباراة إذا لم تخرج فوراً.

احتج جيف: «لكن كول لم يعد إلى منزله بعد.. قال إنه سيكون هنا».

قالت بهدوء: «لا بد أن هناك تفسيراً جيداً. قد يكون عالقاً في زحمة السير، أو تأخر في المكتب، أو أي واحد من ألف سبب. فهو لن يتأخر عن المجيء عمداً».

ـ هل تظنين أنه نسي.

ـ أنا واثقة أنه لم ينس.. تعال حبيبي، دعنا نتحرك الآن. لديك مباراة لتلعبها.

كانت هذه أول مباريات الموسم، ولقد كسب جيف المركز الذي يشتهيه في الرمي. وما إذا كان الأمر صحيحاً أم لا، كان جيف يؤمن أن تدريب كول أعطاه الأفضلية على منافسيه. ولم يكن قد أعلمه بالخبر.

توسل جيف لأمه وهما يتجهان إلى السيارة: «لا تقولي شيئاً حين ترين كول.. هل ستفعلين؟ أريد أن أقول له بنفسي».

رفعت يدها اليمنى كمن يقسم: «شفتاي مقفلتان».

وأشارت إلى فمها كمن تلجمه بسحّاب. واندست في السيارة وأدارت المحرك، لكنها نظرت في المرآة أمامها عدة مرات، آملة أن يظهر كول بمعجزة ما.

لكنه لم يظهر.

كان مقرراً للمباراة أن تجري في حديقة بالبوا العامة، والتي تبعد أقل من ميلين عن منزل روبن.

كانت الجولة التالية قد بدأت حين انضمت هيذر لورنس إلى روبن، فابتسمت لها.

قالت هيذر: «مرحباً.. ما هي النتيجة حتى الآن؟».

ـ لا شيء مقابل لا شيء.. إنها بداية الشوط الثاني.

ـ وكيف يجري لعب فريقنا «اوريل هيرشاير»؟

ـ جيف يُبلي بلاء حسناً. عظيم. لقد تمكن من الحفاظ على رباطة جأشه حين تمكن زميله من إصابة ثانية.. واعتقد أنني تلقيت هذا بأسوأ مما تلقاه جيف.

ابتسمت هيذر وهزت رأسها: «الأمر ذاته معي.. لقد لعبت كيلي حارسة مرمى لفريق كرة القدم في السنة الماضية، وكنت أتلقى كل إصابة في المرمى كضربة على صدري».

ـ وأين كيلي الآن؟

أشارت هيذر إلى الجهة الأخرى من الملعب. كانت الفتاة ذات

الثمانية اعوام تستند بعفوية على جذع شجرة سرو طويلة.

شبكت هيذر أصابعها حول ركبتيها.

ـ كان جيف يتكلم كثيراً عن كول كامدن.

ألقت قولها بنبرة سؤال. في ما كان نظرها مركزاً على الملعب.

ولم تكن روبن واثقة مما ستجيب: «أوه؟ لقد كان كول لطيفاً بما يكفي لإعطاء جيف بضع نصائح حول تقنية الرمي».

ـ بالحديث عن تقنية الرمي.. يبدو أنكما متفقان بكل تأكيد.

هيذر بدأت تبدو مثل أنجيلا، التي تستنزفها يومياً بسؤالها عن علاقتها بكول. وتقدم النصح والاقتراحات التي لا تجدي نفعاً.

ـ لا أستطيع أن أقول لك كم أنا مندهشة للتغييرات التي رأيتها في كول منذ انتقلنا للسكن هنا. أرادت كيلي أن تلعب في الحصن منذ أن سمعت به.. لكنها تمكنت من ذلك فقط عند مجيء جيف.

ركزت روبن عينيها على اللعب، وقالت: «لقد كان طيباً مع جيف».

علاقة كول مع ابنها، أجبرتها على تفحص دوافعه. لقد فقد ابناً.. ولا شك في وجود هوة فارغة في قلبه. في البداية، لم يسمح لجيف بدخول فنائه، وحتى لم يوافق أن يصبح جيف وبلاكي صديقين. لكن، ودون أي مقدمات، هوى كل شيء جانباً. أصبح لجيف الآن حق الوصول إلى الحصن.. وغالباً ما كان يأتي معه بأولاد الجيران.. لقد اعطى كول الإذن بهذا لجيف.. فهل يعتبره بديلاً عن ابنه؟ ونفضت روبن الفكرة عنها.

قالت هيذر: «جيف يتكلم باستمرار عن كول.. قال لي هذا الصباح، إن كول سيأتي ليراه يلعب. فماذا حدث؟ هل تأخر في المكتب؟».

ـ لا أعرف، لا بد أنه تأخر، لكن..

قاطعتها هيذر باهتياج: «ها هو.. إنه هناك.. أتعرفين، في السنتين اللتين عشنا فيها في شارع «أورتشارد» لا أذكر أنني كلمته سوى بضع

مرات. كان دائماً فاتراً متحفظاً.. وباستثناء الاوقات التي كنا نعمل فيها معاً في الفناء، لم أكن أراه. منذ أيام اصطدمنا ببعضنا في محل البقالة، وابتسم لي، وذهلت. أقسم أنها كانت المرة الأولى التي أرى فيها ذلك الرجل يبتسم. وأعتقد بحق، أنك وجيف مسؤولان عن التغيير».

رفعت روبن رأسها تتطلع إلى كول، وقالت: «أعتقد أنك تحملينني أكثر مما يجب».

ـ لا.. أنا لا أفعل هذا.. أنت لا تستطيعين رؤية التغيير فيه لأنك جديدة في الجوار.. لكن كل من يعرفه لمدة من الزمن، سيقول لك إنه الآن شخص مختلف.

كان جيف قد جلس على المقعد بينما كان فريقه يؤدي دوره في ضرب الكرة بالعصا، فجأة قفز واقفاً ولوح بيديه عدة مرات، وتفجر وجهه بابتسامة عريضة متلهفة...

ولحقت نظرة روبن بابنها.. كان كول قد وصل فعلاً.. وتلاشى التوتر منها فجأة.. ولم تكن تدرك كم كانت متوترة.. كول لن يخيب أمل جيف متعمداً، لكن لهفة ابنها كانت شديدة كلهفتها.

وقفت هيذر قائلة: «اسمعي.. سأتحدث إليك فيما بعد».

ـ شكراً لمرورك إلى هنا.

ـ وأنا مسرورة لهذا.

ونزلت هيذر المدرج.. وتوقفت في الأسفل لترفع حاجبيها بشكل معبِّر. ثم ضحكت لتقطيبة روبن.

لا بد أن هيذر مرت بكول وهي في طريقها إلى الخارج. لكن روبن لم ترهما مع عودة جيف بسرعة إلى مركز الرمي في نهاية الشوط الثاني.. حتى من على هذه المسافة، رأت روبن أن عينيه كانتا طافحتين بالسعادة والإثارة.. ونظر إليها خلسة فرفعت إصبعيها بعلامة النصر.

قفز كول صعوداً على المدرج ليجلس إلى جانبها: «أنا آسف للتأخير.

علقت في اجتماع، وإلى أن تمكنت من الخروج لأتصل بك كنت قد غادرت إلى الملعب».

ـ جيف وأنا عرفنا أن هذا ما حدث.

ـ إذن، فهو يؤدي دوره الآن!

تعالى صوته فخراً.

ـ يدعي أن الفضل لك.

قال كول ضاحكاً: «سأدعه يصدق هذا.. لكنه رياضي بطبيعته».

ـ حسب قوله، لقد علمته كل شيء يعرفه.

هز كول رأسه: «أنا مسرور أنني لم أخسر رؤية المباراة كلها».

قالت: «سيكون هناك غيرها».

لكنها كانت ممتنة لمجيئه. فمنذ أن غادرا المنزل، كانت متوترة وحذرة. يمكن لكول أن يجعلها تنتظر أي موعد منه.. لكن خيبة أمل جيف كانت أكثر مما تتحمل. ونادراً ما أحست أنها غير مستقرة عاطفياً هكذا، كل هذا بسبب تأخر كول عن موعد مباراة البايسبول في حديقة بالبوا العامة.

قال كول، وكأنما يقرأ أفكارها: «هذه مباراة هامة لجيف.. ولا يمكنني أن أخيب أمله.. لو كان شخص غيره لما كان بالأهمية ذاتها، لكن جيف يهمني..».

صمت، وتشابكت عيناه بعينيها: «وكذلك أنت».

أحست روبن بالدوار والفرح. لأول مرة منذ وفاة لوني المأساوي، فهمت كم غيبت كل شيء عن حياتها.. كانت ترفض السماح لأي كان أو لأي شيء كان أن يدخلها، فقد يتسبب لها، أو لجيف، بالمزيد من الألم.

لسبب ما، لم تستطع هذا مع كول، ولم تستطع أن تفهم ما الفارق أو لماذا، كل ما عرفته أنها كانت في خطر حقيقي أن تقع في حب هذا الرجل، وأن تقع بقوة.. وهذا ما أرعبها..

سألها كول: «هل تناولت وجيف العشاء؟».

استدارت لتواجهه، ومضت لحظة طويلة قبل أن تدرك أنه طرح عليها سؤالاً. وكرره فهزت رأسها، فقد كان جيف أكثر هياجاً من أن يأكل.

ـ جيد.. هناك مطعم صيني قريب.. ويمكننا نحن الثلاثة أن نحتفل فيه بعد المباراة.

همست: «سيكون هذا أمراً لطيفاً».

وفكرت أن عليها أن تعتذر لتجنب هذا، ثم أدركت على الفور تقريباً أنها لا تريد أن تتجنبه أبداً.

سأل جيف: «هل يمكن أن أحصل على المزيد من لحم الغنم مع الأرز؟».

مرر كول له الطبق، وراقبت روبن ابنها يملأ صحنه عالياً للمرة الثالثة.. وقالت باكتئاب: «لقد كسبت».

ـ أمي.. أتمنى أن تتوقفي عن هذا. فقد قلت ذلك للمرة الرابعة.

ونظر إلى كول طالباً الغفران لأمه، فمن الواضح انها تعاني من شحنة زائدة من الفخر.

ـ لكن جيف.. لقد كنت رائعاً.

ـ كان الفريق رائعاً بأجمعه.

قالت روبن، وهي لا تزال مذهولة بقدرات ابنها الرياضية: «لم يكن لدي فكرة أنك ضارب كرة جيد هكذا. أوه جيف، كم أنا فخورة بك.. والجميع كذلك».

كان صعباً عليها أن تتذكر بأن جيف هو واحد من فريق.. وأن نجاحه جزء من جهد أكبر حجماً.

ـ أردت أن أكون متأكداً أنني سألعب جيداً، خاصة لأنك موجود كول.

مرة أخرى مد جيف ذراعه عبر الطاولة وأخذ طبق الدجاج باللوز،

الفارغ تقريباً.

بينما كانوا يضحكون اثناء تناول أقراص الحلوى، سمعت روبن قسماً من حديث يجري في الحجرة الكائنة في الخلف.

وقال رجل مسن: «أراهن أنهم يحتفلون بشيء ما».

قالت زوجته بصوت منخفض: «أعتقد أن ابنهما قد قام بعمل جيد في مباراة البايسبول».

ابنهما الصغير؟

لقد ظن الزوجان المسنان خلفهما أن كول وجيف، أب وابنه.

وطارت عينا روبن إلى كول.. ومع أنه سمع التعليق، فهو لم يُظهر أي اكتراث.

ـ أمه وأبوه فخوران به، بكل تأكيد.

ـ من المبهج جداً رؤية هذين الشابين سعيدين. العائلة، يجب أن تقضي بعض الوقت معاً.

العائلة، الثلاثة يبدون كالعائلة.

مرة أخرى نظرت روبن إلى كول، ومرة أخرى لم يبدُ عليه أنه سمع التعليق.. وإذا سمعه فقد تجاهله.

ولكن، لا بد أن كول أحس بنظرتها، لأنه رمقها هو الآخر. وطالت النظرة دون أي بادرة ارتباك.

كان جيف يثرثر طوال رحلة العودة إلى المنزل مع أمه. ولأن كليهما كان يستخدم سيارته، توجه كول وروبن كل منهما إلى بيته على حدة.. وتبادلا التحية قرب الطريق الداخلية، ثم دلفا إلى الداخل.

كان لدى جيف واجبات مدرسية يجب إنهاؤها. في ما وضعت روبن حملاً من الثياب في آلة الغسيل. بعد ساعة، كانا قد أنهيا مراقبة التلفزيون، واستحما سريعاً، وشرعا في النوم. ودست روبن البطانيات حول كتفي جيف، فاحتج أنه أكبر عمراً من أن تفعل له هذا، لكنه لم يتذمر

كثيراً بصوت مرتفع.

ـ تصبح على خير جيف.

ـ تصبحين على خير أمي.. لا تدعي البرغش يعضك.

قالت ممازحة: «لا تكن رقيق الإحساس لأجلي.. هل تفعل؟».

في حوالى الساعة العاشرة، كانت تجلس في الفراش تقرأ رواية بوليسية، حين رن جرس الهاتف. مدت يدها إلى السماء بسرعة.. فهي دائماً تخاف من المكالمات.. المتأخرة.

ـ آلو.

ـ أما زلت مستيقظة؟

وكان كول.. صوته أثرّ فيها مثل شحنة كهربائية.

قالت: «أنا.. كنت أقرأ».

ـ لقد خطر ببالي فجأة أننا لم نكمل حديثنا تلك الليلة.

ـ أي حديث؟

ـ الذي جرى عند الباب.. والذي قاطعه جيف. ذكريني أن أعطيه درساً في حسن التوقيت.

تراجعت روبن على وسادتها، تستمتع برنة صوته، وبالاستلقاء التام في الفراش والإصغاء إليه.. وأغمضت عينيها: «لا أذكر حتى ما كنا نتكلم عنه».

ـ كما أذكر، كنت قد قلت إن ليس من شأنك مع من أتناول الغداء، أو مع من أقضي نهاية الأسبوع.. وأعتقد أنك تفترضين وجود امرأة.

انفتحت عينا روبن بحدة: «أؤكد لك أنني لم أفترض شيئاً من هذا».

ـ أعتقد أنني سأشرح لك الأمر نهاية الأسبوع.

ـ لا.. أعني.. كول.. هذا حقاً ليس من شأني. لا أستطيع أن أصدق أنني اقترحت شيئاً كهذا.. لا يهم.. حقاً.

ـ لدي بعض الأملاك في الشمال، حوالى أربعون فداناً. كانت الأرض يوماً ملكاً لجدي، وأوصى بها لي حين مات منذ سنتين، هذا المنزل هو

جزء من الأملاك أيضاً. والدي ولد هناك وترعرع.. وكنت أقضي وقتاً ممتعاً من أوقات فراغي، أعيد «ديكور» منزل المزرعة، فقد أنتقل للسكن هناك.. في وقت ما في المستقبل.

لم ترغب أن تفكر بأنه سيترك الجوار، أبداً: «هكذا إذن».

ـ لا يزال المكان بحاجة إلى الكثير من الجهد.. وانا أستمتع بالعمل وحدي.. وكل شيء يسير على ما يرام.

هزت رأسها، وفي لحظة أدركت أنه لا يبصر حركتها، فقالت: «يبدو لي الأمر جميلاً».

قال بصوت خفيض مازحاً: «هل لديك أسئلة أخرى ترغبين في طرحها علي؟».

أنكرت فوراً: «بالطبع لا».

ـ إذن.. هل أنت مستعدة للاعتراف بمدى انجذابك؟ سبعة؟ حقاً؟ أعتقد أن جيف على صواب...

ـ أوه..

ولم تعرف كيف تجيب عن هذا.

قال: «أنا على استعداد».

واستطاعت أن تسمع ابتسامته.

رفعت الشعر عن جبينها: «لا أستطيع أن أصدق أن مثل هذا الحديث يجري بيننا.. حقاً لا أستطيع ذلك».

ـ لقد قلت هذا من قبل.. فهل يهمك لو قلت لك كم تروقين لي؟

همست: «أرجوك.. لا تقل هذا».

إنها لا تريد أن يقول لها هذا.. فبالرغم من الإحساس بالأمان الذي تشعر به لوجوده قربها، فإن شيئاً عميقاً ومخيفاً في داخلها تهيب من مجرد التفكير بهذا.. لا.. إنها مذعورة من أن تنتهي إلى الاهتمام بكول، مذعورة مما قد يخبئه المستقبل.

ـ عندما التقينا أول مرة صدمتني رؤيتك أكثر مما استطيع الاعتراف به. أتذكرين ليلة الجمعة التي استأجرنا فيها الفيلم؟

ـ أذكر.

ـ لقد حاولت البقاء بعيداً عنك فيما بعد.. وتجنبتك أسبوعاً كاملاً.

لم ترد روبن، لم تستطع أن ترد.. كانت مستلقية إلى الوراء فوق الوسائد، حدقت في السقف مع شعورها بالدفء.. والارتياح.. والسعادة الغامرة.

حل صمت قصير، وفي جهد لإعادة الحديث إلى موضوع أقل حميمية، وأقل خطراً، قالت: «شكراً للعشاء. لقد أمضى جيف وقتاً من العمر».

وهي أيضاً.. لكنها لم تجد الشجاعة لتعترف.

ـ على الرحب والسعة أنت وهو.

ـ هل ستسافر نهاية الأسبوع هذا للعمل في أملاكك؟

لم يكن من حقها السؤال، وصدمها أن تطرح هذا السؤال.

ـ لا أعتقد.

بعد صمت قصير، تمتم: «متى كانت آخر مرة خرجت فيها بنزهة مع طائرة ورقية؟».

ـ لا أذكر.

ـ هل يمكن أن تفكري بالذهاب معي بعد ظهر يوم السبت؟ أنت وجيف.. وأنا..

ـ أجل.. سيحب جيف هذا.

ـ وماذا عنك؟ هل ستحبين هذا؟

همست: «أجل».

لم يبدُ أن هناك المزيد ليقال، وأنهت روبن المكالمة: «سأخبر جيف في الصباح، سيهتاج سعادة، شكراً لك».

ـ إذن، سأكلمك غداً.

ـ حسن جداً.. إلى الغد.

ـ ليلة سعيدة روبن.

ابتسمت بنعومة.. فقد تلفظ باسمها بطريقة طالما حلمت أن رجلاً سيفعلها. بنعومة واثارة.. ومحبة.

ـ ليلة سعيدة كول.

بعد وقت طويل من إقفال الخط، بقيت روبن مستلقية تحدق بجدران غرفة نومها.. وحين أطفأت النور نامت بسرعة كما يفعل جيف. واستيقظت حوالى منتصف الليل، فتعجبت كيف تجعدت الأغطية.

جلست، فأراحت ساقيها، ومسحت خصلات الشعر عن وجهها، وتساءلت ما الذي تسبب بتململها هذا.. إنها لا تستفيق عادة بمثل هذه الطريقة.

نزلت عن السرير، ووجدت خفها ونزلت إلى المطبخ سعياً لكوب من الحليب.

عندما جلست إلى الطاولة، خطر ببالها شيء. وجمدت يدها، وتسارعت دقات قلبها.. الزوجان في المطعم الصيني.. لقد سمعتهما، وهي متأكدة أن كول لا بد سمعهما كذلك.

ولدهما الصغير.. إنهم عائلة واحدة!

لقد فقد كول ابناً، ومن القليل الذي عرفته أن ابن كول حين مات، كان تقريباً في سن جيف الآن.. الطلاق أولاً.. ثم الموت.

فجأة بدا لها كل شيء منطقياً، وبإحساس مؤلم.. إحساس من النوع المخيف.. ادركت أن القاسم المشترك بينهما لم يكن الفنائين الخلفيين، بل لأن كليهما كان ضحية.

كان كول يحاول استبدال العائلة التي انتزعت بقسوة منه.

وكانت روبن مذنبة.. فقد علقت في موجة من العاطفة والتجاذب.

ورفضت أن تعترف بما كان يواجهها مباشرة. تجاهلت ريبتها ومخاوفها، وأزاحتها جانباً.

هي وكول شخصان مجروحان، محتاجان لبعضهما بعضاً. لكن ما إن يندمل هذا الجرح.. وتنطفىء تلك الحاجة حتى يكتشف كول ما عرفته روبن منذ البداية.. إنهما شخصان مختلفان، لا يجمع بينهما شيء. هذا إذا كان ثمة شيء على الاطلاق.

***

٦ ـ لقد كذبت

رفعت أنجيلا رأسها من خلف طاولتها، ونظرت باستنكار شديد. وسألت: «ماذا تعنين أنك تريدين حقاً مقابلة ابن عمي؟».

ـ لقد كنت تلاحقينني منذ أسابيع لأقابل فريد.

ـ اسمه فرانك.. أجل، هذا صحيح. لكن هذا كان قبل.

ـ ماذا؟

ـ قبل كول، فماذا جرى بينكما؟

ـ لا شيء!

ردت أنجيلا مع كثير من السخرية: «إذا ما عشت أراك الدهر عجباً!».

وقفت أمام منضدتها، واستندت إلى إحدى الزوايا وذراعاها

مضمومتان. ونظرت فلم يرف جفن في وجه روبن.

عرفت الأخيرة أن لا فائدة من محاولة إخفاء مشاعرها. لقد كانت قلقة طوال الليل. ولا بد أن يظهر هذا عليها.. ولا شك أن عينيها كانتا منتفختين.. وتؤلمانها. وكذلك عظامها.. لكن الأكثر ألماً، كان قلبها.

ـ آخر شيء سمعته، هو أن كول سيحضر مباراة جيف في البايسبول معك.

انجهت روبن إلى منضدتها.. ومدت يدها إلى فنجان القهوة الذي جاءت به معها، وفتحت الغطاء البلاستيكي وأخذت رشفة بحذر، ثم قالت: «لقد فعل هذا».

ـ و..؟

ـ لقد لعب جيف مباراة رائعة.

وأملت روبن أن لا تضغط عليها صديقتها أكثر.

تابعت أنجيلا النظر إلى روبن. وفكرت هي.. يا إلهي، للمرأة عينان تقطعان الصخر.. لا شك أنهما تشبهان عيني سوبرمان.

سألت روبن، بعد أن لم تعد تتحمل نظرة صديقتها إليها.

ـ ماذا؟

وأخذت رشفة قهوة أخرى.. إذا كانت بقية يومها ستكون على طراز هذا الصباح، فمن الأفضل أن تعود إلى منزلها الآن..

سألتها أنجيلا: «أخبريني ماذا جرى مع كول؟».

ـ لا شيء.. لقد سبق أن قلت لك، كان في مباراة البايسبول.. فماذا تريدين بعد؟

ـ أقل ما يمكن أن تفعليه، هو أن تقولي لي ماذا جرى ليلة أمس.

سحبت روبن كرسيها ورمت نفسها فيها: «قبل المباراة أم بعدها؟».

ـ في الحالتين.

واستسلمت روبن.. هزت كتفيها، تلوّح بيديها بضعف. وأخذت

www.elromancia.com

نفساً عميقاً، ثم صبت القصة كلها في نفس واحد مستعجل.

ـ كان كول قد تأخر في اجتماع، لذا لم نجتمع في البيت كما خططنا.. ومن الطبيعي أن يخيب أمل جيف. لكننا عرفنا أن أي شيء يؤخر كول، لن يكون بسببه. فغادرنا إلى حديقة بالبوا العامة من دونه، ووصل كول بينما كان جيف يستعد للرمي في الجولة الثانية.. ولقد سمح لجيف بثلاث ضربات في المباراة كلها، فسجل ركضتين ناجحتين بنفسه. فيما بعد أخذنا كول إلى مطعم صيني شهير، لم أسمع به من قبل.. لكنه مطعم يجب أن نجربه أنا وأنت يوماً.. في العلاوة القادمة.. موافقة؟ فيما بعد اتصل كول وطلب أن يأخذني مع جيف في نزهة يوم السبت.. وأعتقد أننا سنذهب إلى حديقة «غولدن غايت» العامة لأنه ذكر شيئاً عن طائرة ورقية.

صمتت، وأخذت نفساً قوياً، وصوبت لأنجيلا نظرة تقول: حاولي فهم شيء من هذا!!

قالت أنجيلا بعد صمت طويل: «فهمت».

ـ عظيم.

لم تكن روبن مستعدة لشرح شيء. إنها تزداد انجذاباً لرجل يبحث ربما عن بديل لابنه الذي فقده، وتحتاج هي إلى طريقة تمنعها من مطاوعة قلبها، فقد كان يتحرك بسرعة مرعبة باتجاه كول.

قوّت روبن صوتها وقناعتها وسألت مرة أخرى: «هل ستقدمينني إلى ابن عمك أم لا؟».

تابعت أنجيلا النظر إليها: «لست واثقة بعد».

رددت روبن: «لست واثقة! لأسابيع وأنت تسهبين في وصف فضائله.. وحسب قولك، ابن عمك ملاك بالنسبة لباقي البشر.. يعمل جاهداً، ويشتري سندات خزينة، وينظف أسنانه».

ـ هل قلت كل هذا؟

تمتمت روبن: «تقريباً.. مع ذلك حين أطلب لقاء هذا المثال الذي لا حدود لفضائله، تقولين إنك لست واثقة أنك ترغبين في تقديمه إليّ؟ كنت أظن أنك ستكونين مسرورة».

قالت أنجيلا مقطبة: «أنا مسرورة.. لكنني قلقة كذلك».

ـ ليس من شأنك أن تقلقي.. كل ما عليك أن تفعليه هو الاتصال بفريد وإعلامه أنني سأحضر مساء السبت للعشاء والسينما.

ـ اسمه فرانك.. ولقد سمعتك تقولين إنك ذاهبة في نزهة يوم السبت مع كول.

فتحت روبن لفافة طباعة كومبيوتر، استعداداً لمراجعة بعض الأرقام.. إن بدت مشغولة، لا مبالية بشكل مناسب، فقد يدفع هذا بأنجيلا إلى الموافقة: «سنكون أنا وجيف مع كول في وقت مبكر من اليوم.. وسأتأكد أن نعود قبل المساء، فلا داعي للقلق».

اجابت أنجيلا: «لكنني قلقة.. لا أستطيع منع نفسي عن القلق. صدقيني روبن، أنا لم أرك هكذا من قبل.. أنت مصممة جداً».

رفعت روبن نظرها عن الورق: «الطالما كنت مصممة».

تنهدت أنجيلا: «أوه.. أنا موافقة مئة بالمئة.. لكن ليس فيما يخص الرجال.. ابنة أخي البالغة ثلاثة عشر عاماً هي أكثر فهماً للرجال منك!».

* * *

صاح جيف مع ارتفاع طائرته الورقية في السماء: «انظري كم هي مرتفعة طائرتي، أمي..».

صاحت روبن: «إنها تكاد تلامس السحاب!».

وضحكت مع ابنها وهو يشد الخيط ويلويه.. بالرغم من كل وساوسها بشأن علاقتها بكول، كانت تستمتع تماماً بالظهيرة. في البداية، كانت مقتنعة أن اليوم سينقلب إلى كارثة.. كانت واثقة أن كول سيلقي نظرة واحدة عليها، وسيعرف أنها ستخرج مع رجل آخر ذلك

المساء. وكانت متأكدة كذلك أنها ستصرح بهذا إذا لم يخمنه على الفور.

كان كول متأثراً مثل جيف بالنزهة ومغامرة الطائرة الورقية.. كانا يضجان مع الطائرة منذ ساعات..

ما كان بالإمكان أن يكون الطقس أعظم جمالاً. كانت السماء زرقاء أكثر من أي وقت آخر، والريح ملائمة. والمراكب الشراعية تقطع المياه الخضراء، وتضيف إليها لطخات من الألوان.

بخلاف كل الجمال الذي يحيط بها.. كان قلب روبن مضطرباً. وهي تراقب كول، وجدته صبوراً جداً ولطيفاً مع ابنها. وامتلأ قلبها بمشاعر متناقضة.. جزء منها كان يريد أن يشكره، للابتسامة التي كانت تضيء وجه جيف.

صاح جيف والطائرة الورقية تخفق وترفرف في مهب الريح:

ـ أمي.. انظري!

وسارع بلاكي إلى جانبه، بينما كانت الطائرة الورقية اللماعة، ذات اللونين الاحمر والأزرق تشق السماء.

ردت روبن صائحة: «أنا أنظر إليها.. أنا أنظر!».

لم تكن قد شاهدت جيف بمثل هذه السعادة.. مزيج من الفخر والفرح يشع من وجهه وتأثرت بهذا إلى درجة البكاء.

بعد لحظات، ركض كول نحو البطانية التي تجلس روبن عليها، وجلس إلى جانبها.. ولم يفعل أكثر من الابتسام لها.. لكنها أحست بخفة جسدية، وتمدد كول يستند إلى مرفقه وينظر ضاحكاً نحو السماء.

ـ لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة ضحكت هكذا.

قالت روبن: «يبدو أنكما تتمتعان بهذا».

ولو أن كول لاحظ شيئاً منحرفاً فيها فهو لم يعلق.. لقد تمكنت أن لا تخبره بموعدها مع ابن عم أنجيلا، فهي بالتأكيد لا تريد أن يظن أنها

تستشيره.. ولم يكن هذا هو الغرض من الأمسية أبداً.. وفي الواقع لم تكن واثقة أنها تفهم تماماً ما كانت تأمل أن تحققه بالخروج مع فريد.. فرانك. وصاحت بالاسم في سرها خمس مرات.. لماذا تستمر في دعوته فريد؟ أقنعت أنجيلا أن تدبر لها الموعد، بدا لها أنها مسألة موت أو حياة.. وهي الآن تشعر بالارتباك والندم.

ـ يقول جيف إن لديك موعداً هذا المساء.

وفكرت روبن كم أنها قلقت من التصريح بالأمر بنفسها، ونظرت إلى كول..

ـ إنه ابن عم لصديقة مقربة، إنها تلاحقني منذ أشهر للقاء فرانك.. سنتناول العشاء معاً.

ـ هل هذا هو فرانك الذي رفضت الخروج معه، وبشكل نهائي؟

نظرت روبن إليه ذاهلة.

ـ هذا كان ردك على الهاتف يوم جئت أسأل عن بلاكي.. ألا تذكرين؟

تمتمت: «أوه.. أجل».

فجأة أحست بحاجة لتبرير عملها.

ـ المسألة أن أنجيلا كانت تتكلم عنه منذ زمن طويل، حتى بدا أن هذا هو الشيء المناسب. الواضح أنه لطيف، وتقول أنجيلا إنه مرح جداً ولا أعتقد أن هناك ضرراً من مقابلته..

قال بلطف: «روبن.. أنت لست مدينة لي بأي تفسير».

صمتت على الفور.. إنه على حق، وتعرف هذا. لكنها لم تستطع منع نفسها من الإحساس بالذنب والارتباك..

قال كول بلهجة الأمر الواقع: «أنا لست من النوع الذي يغار».

ردت متصلبة: «وأنا لا أحاول أن أجعلك تغار».

قال كول يهز كتفيه: «جيد».

وتحركت نظرته منها إلى جيف الذي كان يركض على العشب وبلاكي إلى جانبه، ينبح باهتياج.

إنه لم يسأل.. لكنها وجدت نفسها مضطرة أن تشرح له من سيعتني بابنها وهي في الخارج.

ـ جيف سيذهب مع هيذر وكيلي لورنس إلى السينما اثناء غيابي.

لم يقل كول شيئاً.. كل ما فعله أنه ابتسم. إنها الابتسامة ذاتها التي أرسلها لها في وقت سابق. فكانت مدمرة، فاتنة، ماكرة.

كان يبدو وكأنه يقول لها إن بإمكانها تناول العشاء مع ألف رجل مختلف، ولن يزعجه هذا أبداً. وكما قال، إنه ليس من النوع الذي يغار، عظيم.. يمكنها أن تتواعد مع ألف رجل لأنه لا يهتم بها، بل يهتم بابنها.

قال بثقة بالنفس تثير السخط: «دعيني أعرف متى ترغبين في العودة، لا أريد أن تتأخري».

عند ذلك التلميح، تفحصت روبن ساعتها، وأدهشها أن تلاحظ أنها تجاوزت الرابعة. لقد كانوا يمرحون كثيراً، ومرّ اليوم مسرعاً.. حين رفعت رأسها، رأت أن كول كان ينظر مترقباً.

ـ المسألة.. أنا لن أقابل فرانك حتى وقت متأخر.

ردت على سؤاله الذي لم يطرحه بموارية وهي تجمع بقايا الطعام.

مرت ساعة أخرى قبل أن يقرروا مغادرة حديقة «غولدن غايت» العامة، ولزمهم حوالى الساعة للعودة إلى حديقة «غلين» بسبب زحام السير، وهذا ما ضيّق وقت روبن أكثر، لكنها لم تكن غلطة كول.. فهو لم يدبر أمر حصول حادثة سير على الطريق الرئيسية.

تبادل كول وجيف أطراف الحديث معظم الوقت وهو جالس في الخلف، ومال جيف إلى الأمام بحيث أصبح وجهه بين روبن وكول.

حين وصلوا المنزل، ساهمت روبن مع جيف، في إفراغ سيارة كول.. وزاد نباح بلاكي الارتباك.

قالت روبن: «أعتقد أن من الأفضل أن أدخل إلى المنزل».

والتقت عيناها بعيني كول.. وأحست بالارتباك فجأة، متمنية لو أن جيف كان يقف بينهما كحاجز بدلاً من حمل الأغراض إلى شرفة كول.

قالت بارتباك: «لقد أمضينا وقتاً عظيماً».

لن تستطيع لوم كول على توتر أعصابها، فقد كان الرفيق الأمثل طوال اليوم.

ـ شكراً لك على النزهة.

انضم جيف إليهما.. وضاقت عيناه وهو ينظر إلى كول: «هل ستتركها تفعل ما تريد حقاً؟».

سألت روبن ابنها: «أفعل ماذا؟».

رد بصراحة: «تخرجين مع ذلك الرجل الآخر.. لا أصدق أنك ستتركها تنجو بفعلتها».

ـ جيف.. هذا شيء لا يجب أن نناقشه مع السيد كامدن.

تمتم بتنهيدة معبرة: «حسن جداً.. لكنني أعتقد أنك ترتكبين غلطة».

ورمى نظرة ملؤها التساؤل نحو كول: «كلاكما مخطىء».

واتجه إلى المنزل.

قالت روبن مجدداً: «شكراً لهذه الظهيرة الرائعة».

رد ويداه في جيبيه: «ما من مشكلة.. استمتعي بوقتك جيداً».

تمتمت: «شكراً».

ونظرت إليه بارتياب قبل أن تستدير نحو منزلها.. تباً له.. إنها فعلاً تشعر بالذنب!

بينما كانت روبن تحضر الحمام، ركض جيف نحو السلم. ووضع حقيبتها بين يديها: «أمي.. أحتاج إلى مال لأجل السينما.. كم ستعطينني ثمناً للبضاعة؟».

- بضاعة؟

- تعرفين.. ڤوشار، كولا، وقطعتين من الحلوى فأنا أكاد أموت جوعاً.

- جيف.. أنت لم تتوقف عن الأكل طوال اليوم. وماذا عن لفافتي الهوت دوغ اللذين حضرتهما لك؟

- لقد أكلتهما.. لكن هذا كان منذ عشر أو خمس عشرة دقيقة.. وأنا الآن جائع.

أعطته روبن سبع دولارات، وتحضرت للجدال. هذا المبلغ يكفي لدخوله إلى السينما وتزويده بالڤوشار والصودا.

أخذ جيف المال منها، وهز رأسه ببطء، وكأنها عاملته بازدراء متعمدة.. لكنها قالت له بصوت حازم: «هذا يكفي يا ولد».

- وهل تذمرت؟

ولمعت عيناه الزرقاوان ببراءة.

- ما كنت مضطراً للتذمر.. لقد رأيت التمرد على وجهك.

كان جيف على استعداد لمغادرة المنزل بعد بضع دقائق، بينما كانت روبن ترتدي ثيابها. ووقف خارج غرفة نومها ليصيح:

- ألا أستطيع انتظارك في منزل كول بعد السينما؟

توقف قلب روبن للاقتراح: «بكل تأكيد لا!».

آخر شخص كانت تريد أن تواجهه في نهاية أمسيتها، كان كول كامدن.

- أنت لم تطلب منه.. هل فعلت؟

- لا.. لكنني لا أريد الذهاب إلى منزل كيلي بعد السينما.. فأنا هناك كل يوم.

- حبيبي.. أنا آسفة.. أعدك أن لا أتأخر.

- هل أنت واثقة أنني لن أستطيع الذهاب عند كول؟

- جيفري ليونارد ماسترسون.. لا تجرؤ على إزعاج كول.. هل تفهمني؟

رفرف عينيه مرتين. فهي نادراً ما تستخدم هذه النبرة الجازمة.. لكنها لم تكن تملك الوقت أو الطاقة لتجادله.

- أعتقد.. لكن هل يمكن أن تعودي في الساعة العاشرة.

- ولماذا العاشرة؟

همس من قلبه: «لأنني لا أريد أن أفعل شيئاً غبياً مثل النوم أمام كيلي».

وعدته: «سأرجع حالما أتمكن».

دست قدميها في حذاء منخفض الكعبين، واسرعت باتجاه الحمام لترش قليلاً من العطر.. ليس كثيراً، ما يكفي فقط لإعطاء نفسها بعض الثقة. وشرعت تنزل السلم وتأخذ حقيبتها.

كانت يدها على أكرة الباب حين رن جرس الهاتف، للحظة، نوت أن تتجاهله. لا بد أنه اتصال لجيف. لكن ماذا لو كان الاتصال من والديها؟ أو فرانك.. يتصل لالغاء الموعد؟ إنها فكرة سخيفة.. كل رنة كانت تبدو ملحة أكثر من التي قبلها. ويجب أن ترد، وإلا ستتساءل من المتصل، طوال الأمسية. وهي تصرف بين أسنانها، دخلت المطبخ.

ردت بنفاد صبر: «آلو».

للحظة، لم يكن هناك رد: «روبن.. هذا أنا.. كول.. لقد كذبت».

ثم انقطع الخط فجأة.

أبعدت روبن السماعة عن أذنها ونظرت إليها لعدة ثوانٍ.. لقد كذب؟ بشأن ماذا؟ يا إلهي.. لماذا اتصل؟ ليقول لها إنه كذب.

ولم يكن لديها وقت لتتصل به وتسأله ماذا يَعني.

* * *

سألها فرانك إيبريل: «أترغبين في شيء تشربينه؟».

ردت روبن: «لا شيء.. شكراً».

لقد تبين لها أن فرانك كان من النوع الملائم.. وكان هذا مفاجأة سارة، كان جذاباً تماماً، ذا عينين زرقاوين، وشعر كثيف بلون مميز كالملح والفلفل. وكانت أنجيلا قد ذكرت مرة أنه خجول «قليلاً»، الأمر الذي أخاف روبن لأنها خجولة جداً، على الأقل بوجود الرجال. وكما ظنت، بقيا ينظران إلى بعضهما معظم الوقت، دون أن يعرفا ما يقولان.. على الأقل كان لديهما أنجيلا كقاسم مشترك بينهما.. بينما بالنسبة لكول، كل ما كانا يتشاركان به هو..

توقفت أفكارها بغتة.. وأحجمت عن التفكير بجارها أو باتصاله في آخر لحظة. لم تكن قادرة على تصور أنها تتناول العشاء مع رجل وتتحرق لآخر.. كان هذا بالضبط ما تفعله.

تفحصت روبن لائحة الطعام، متظاهرة بالتردد ما بين ضلع اللحم وبين سمك الهالبوت الطازج..

وقال فرانك: «لأول مرة، أنجيلا لم تبالغ، أنت مفاجأة بالنسبة لي».

ـ وهل أنا هكذا حقاً؟

كان من المذهل أن تسمعه يردد كلماتها كالصدى. وهز رأسه، بابتسامه لطيفه مقتصدة.

ـ حين اتصلت بي أنجيلا في مطلع الأسبوع، لم أكن متأكداً مما سيحدث. لقد شجعتني على لقاء صديقاتها.. وعندما كنت اسمعها تتكلم، خيل إلي أنها صديقة لنساء كثيرات، جميعهن راغبات بلقائي.

ابتسمت روبن: «يجب أن تفتح مكتباً للخدمات.. لا أستطيع أن أقول لك عدد المرات التي رتبت فيها لي موعداً مع شخص ما.. أو على الأقل حاولت».

ـ لكنك امرأة يتمنى المرء أن يحظى بلقائها. ولقد أحسست بهذا على

الفور.

ـ شكراً لك. أنا.. لم أكن متأكدة مثلك تماماً.. لقد تكلمت أنجيلا عنك لأسابيع، حتى تجمعنا معاً.

ونقلت أنجيلا نظرها من لائحة الطعام إلى رفيقها، ثم إلى اللائحة مرة أخرى.. وأحست بهواجس الشك من جديد.

قال فرانك: «لقد مضى على طلاقي الآن ستة أشهر. لكن، بعد أربع عشرة سنة من الزواج، لا أعتقد أنني سأعتاد على المواعدة مجدداً».

وجدت روبن نفسها توافقه: «أعرف ما تعني. يبدو الأمر كله مربكاً، أليس كذلك؟ حين كنت ولوني نخرج معاً، كنت في المدرسة الثانوية ولم يكن هناك ما نفكر فيه.. كنا نعرف ما نريد، ونعرف ماذا يجب أن نفعل لنصل إليه».

ابتسم فرانك ابتسامة صغيرة: «الآن وقد أصبحنا أكبر سناً و..».

وصمت: «.. أنا متردد في استخدام كلمة أكثر حكمة..».

ـ لنقل أكثر حنكة؟

ـ صحيح.. أكثر حنكة.

وأطبقت يده حول كوب الماء.

ـ الحياة أصبحت معقدة الآن. وقد كنت خارج اللعبة منذ مدة طويلة، ولم ألحظ أن طريقة الرجال في مثل هذه الأمور قد اختلفت.. لم تعد النساء مخلوقات ضعيفات كما كن.. إذا فهمت ما أعنيه.

كانت روبن بكل تأكيد تشعر بالهشاشة، وقلة الخبرة، والسذاجة الشديدة. لكنها هزت رأسها: «والرجال لم يعودوا كما كانوا كذلك».

هز رأسه: «أنت محقة بهذا».

جاء النادل لتلبية ما يطلبان. ومنذ تلك اللحظة، سارت الأمسية بهدوء، القرب من فرانك أدهش روبن، وكانّ هو كذلك مرتاحاً جداً. وقبل أن تعرف كيف حدث هذا، وجدت نفسها تخبره بأمر كول.

قال: «يبدو لي أنه من ذلك النوع، الذي تتهافت النساء عليه».

هزت روبن رأسها موافقة: «وهو رائع مع جيف كذلك».

ـ إذن، ما هي المشكلة؟

ـ زوجته وابنه.

فغر فرانك فمه: «هو متزوج»؟.

ـ كان.. مما فهمته عنه، تركته زوجته، وبعد وقت قصير مات ابنه.

مد فرانك يده إلى قهوته: «هذا أمر صعب جداً.. لكنه حدث منذ سنوات طويلة.. أليس كذلك؟».

ـ أنا.. لست أدري.. لم يخبرني كول عن هذه الأشياء بنفسه. في الواقع، لم يذكر زوجته أو ابنه قطّ.

ـ لم يذكرهما قطّ؟

أكدت له: «أبداً. سمعت كل هذا من الجيران».

ـ وهذا ما يزعجك.. أليس كذلك؟

كان السؤال متزناً.. دون وعي منها، أحست بخسارة كول. كانت تنتظر منه أن يخبرها.. أن يثق بها بما يكفي.. أن يشركها في همومه.

تأخر فرانك وروبن في إنهاء شرب القهوة، وتبادلا الحديث عن السياسة والاقتصاد وعدة مواضيع أخرى مثيرة.. لكن موضوع كول كان يرفض أن يبتعد عن تفكيرها.

افترقا خارج المطعم، لكنهما كانا معاً يدركان أنهما لن يلتقيا مجدداً، وقتهما معاً كان فترة راحة قصيرة.

أول شيء لاحظته روبن حين أوقفت سيارتها في الطريق الداخلية، أن منزل كول كان مظلماً، وصامتاً، وموحشاً.. الكثير من حياتها كانت مثل هذه الأمور.. قبل أن تلتقي به.

إنها بحاجة للحديث معه.. لسؤاله عما أراد في مكالمته.. للاستفسار عن زوجته وابنه الذي فقده، لكن التوقيت كان خاطئاً.

للحظات طويلة، جلست في السيارة وحدها تشعر بالحزن وخيبة الأمل.

حيتها هيذر بابتسامة، ووضعت إصبعها على شفتيها: «كلاهما مرهق، وحالما عدنا، ناما في غرفة الجلوس».

بعد يوم جيف الحافل بالنشاط، من العجيب ألا ينام خلال عرض الفيلم، قالت روبن: «أرجو أنه لم يكن سيء الطبع».

ـ أبداً.

تثاءبت روبن، وأدركت كم كانت مرهقة. ولم تكن راغبة في شيء أكثر من أن تهرب إلى غرفتها وتنام حتى ظهر اليوم التالي.

سألتها هيذر: «هل ترغبين بفنجان قهوة قبل أن تذهبي؟».

ـ لا.. شكراً لك.

من نعم الله على روبن أن أعطاها جارين طيبين، هيذر على يمينها وكول على يسارها.

معاً، روبن وهيذر، أيقظتا جيف، فابتدأ يتذمر من تأخرها.. وكان شديد التعاس ليدرك أن الساعة لم تتجاوز بعد التاسعة والنصف، وأنها عادت قبل الوقت المحدد.

بعد أن افضت إلى هيذر بعض اخبار امسيتها، قادت ابنها عبر الفناء إلى المنزل.. وسارت معه إلى الطابق الأعلى. ولم تبخل بالرد على الأسئلة التي كافح ليطرحها.

بعد أن وضعته في فراشه نزلت بهدوء عن السلم.

بتهور شديد، توقفت في المطبخ وأخذت سماعة الهاتف. حين رد كول للوهلة الأولى، كتمت شهقة تعجب.

وقال للمرة الثانية: «آلو».

سألت بصوت منخفض: «عم كذبت؟».

ـ أين أنت؟

- في البيت.
- سأكون عندك.
ودون كلمة أخرى، أقفل الخط.
بعد دقيقة، كان كول يقف أمام بابها، ويداه في جيبيه الخلفيين.. نظر إليها وكأنه لم يرها منذ شهر.
قال، وهو يدخل: «حسن جداً.. لقد ربحت».
- ربحت ماذا؟ جائزة الباب؟
وقاومت لتسيطر على مرحها بصعوبة.
دون أن يرد عليها دخل كول إلى المطبخ، حيث غاص في أحد كراسي الصنوبر: «هل أمضيت وقتاً ممتعاً»؟
جلست قبالته: «فعلاً.. فرانك رجل لطيف وجاد.. التقينا في «هاير لاند» ذلك المطعم الصغير الجميل، القريب من..».
- أعرف أين هو.
- في مكالمتك لي.. قلت..
- كيف كان شكله؟
- من؟ فرانك؟
نظر إليها نظرة جعلتها تستخدم نباهتها..
قالت: «إنه لطيف جداً، مطلق ووحيد».
- وماذا يعمل ليعيش؟
- إنه يعمل للدولة، كما أعتقد.. لم نتحدث عما نعمل.
ما من شك أن كول سيصدم لو عرف أن أكثر ما تحدثت عنه هو علاقتها معه!
- عمّ تحدثتما إذن؟
- كول.. بأمانة، لا أعتقد أن علينا أن نبحث أمر أمسيتي مع فرانك. هل تحب شيئاً من القهوة؟

- هل سترينه مرة أخرى؟
تجاهلت روبن السؤال. وتركت الطاولة لتصنع القهوة.. كانت تركز بحذر على عملها بحيث لم تلاحظ أن كول أصبح خلفها مباشرة، واستدارت.. لتجد نفسها تحدق إلى أكثر العيون سواداً وارتباكاً وإحباطاً.
شهقت: «أوه.. لم أدرك أنك قريب هكذا».
- لماذا خرجت معه؟
بالتأكيد لم يكن ما سمعته في صوته كرباً.. ليس بعد كل عدم الاكتراث الذي بدا عليه ظهر اليوم. وذهلت للألم الشديد الذي رأته في عينيه.. أخيراً أدركت، على عكس كل ما يدعي، إنه غيور.. غيور بكل ما في هذه الكلمة من معنى.
- وهل غازلك؟
طرح السؤال بلهفة وحدة، لم تسمعهما من قبل في صوته.
رمشت عيونها، وتجمدت عندما أحست بإلحاحه الشديد.
وكرر: «هل غازلك فرانك؟».
هزت رأسها نفياً..
وتابع السؤال بحزن: «لكنه أراد هذا.. أليس كذلك؟».
أخيراً تمكنت أن تقول: «لم يغازلني».
إنها غير قادرة على السماح لفرانك أو أي شخص آخر بمغازلتها. الرجل الوحيد الذي تريد أن يغازلها ويتودد إليها هو هذا الذي ينظر إليها الآن.

***

٧ ـ ذكريات من نار

سأل جيف، مبقياً عينيه على صحن «السيريل» البارد.

ـ إذن.. هل أعجبك ذلك الرجل الذي تناولت العشاء معه ليلة أمس؟

ردت روبن: «كان لطيفاً».

وصبت لنفسها فنجان قهوة، وانضمت إلى ابنها على الطاولة.. كانا قد تأخرا في النوم، وهما الآن في بداية يوم أحد خالٍ من النشاط.

تردد جيف: «هل هو ألطف من كول؟».

اعترفت روبن على مضض: «كول.. ألطف».

«لطيف» و «ألطف» ليسا منطقيين لوصف الفرق بين كول وفرانك.. لكن بالنسبة لابنها، وعقله الصغير، كان الأمر منطقياً.

ارتجفت ابتسامة على زوايا فم جيف، وقال ضاحكاً ضحكة عريضة: «رأيتكما تترددان ليلة أمس».

ـ متى؟

سؤال سخيف، لا يمكن أن يكون هذا إلا حين جاء كول ليتحدث إليها. ولقد اعترف بغيرته من فرانك، ومقاومته لمشاعره واقتنعت روبن أنها هي التي تصرفت كالحمقاء.

ـ ظننت أنني كنت نائماً.. لكنني سمعت كول يتحدث، وأردت سؤاله عما سيفعله بشأن خروجك مع رجل آخر.. هكذا نزلت ورأيتكما معاً.

وتابع: «ولم يبدُ لي أنك تمانعين.. لقد تكلمت مع كول عن الفتيات مرة، وقال إنهن لا شيء حينما يكن في سن العاشرة أو ما يقاربها.. لكنهن يصبحن أكثر إثارة للاهتمام فيما بعد.. قال إن الفتيات مثل التفاح الأخضر.. في البداية طعمهن حامض، يؤذي الشفتين.. لكن فيما بعد، يصبحن جيدات فعلاً».

تمتمت روبن: «هكذا إذن».

ولم تكن متأكدة أبداً أن مقارنتها بالتفاحة مما يروق لها.

قال جيف: «لكنني حين نزلت السلم، لم أقل شيئاً.. بسبب.. حسن جداً.. تعرفين السبب».

هزت روبن رأسها، واحتست رشفة من قهوتها في جهد لإخفاء عدم راحتها.

ـ أفترض أنكما ستنجبان طفلاً الآن.

ذعرت روبن، ولم تستطع أن تتكلم، وابتلعت القهوة العالقة في فمها، وبدأت تسعل. في جهد لمساعدتها على التنفس، أخذ جيف يضرب ظهرها فضاعف من حزنها.

وإلى أن التقطت أنفاسها، كانت الدموع تجري على وجهها.

سأل جيف: «هل أنت بخير أمي؟».

واتسعت عيناه قلقاً، وسارع إلى الحمام ليعود بمناديل ورقية.

همست وهي تمسح وجهها: «شكراً».

ولزمها لحظات لتستعيد رباطة جأشها.. هذا حديث كانت قد خططت لبحثه مع ابنها بعد بضع سنوات.

ـ جيف.. اسمع.. التودد بين الكبار لا يؤدي إلى إنجاب الأولاد.

ـ لا؟ لكنني ظننت.. أملت.. أتعنين أنك لن تنجبي طفلاً؟

همست: «ليس بهذه الطريقة».

وأخذت نفساً عميقاً لتهدئة نبضاتها.

ـ أعتقد أنك ستقولين لي بالتالي إن علينا التوفير لمجيء طفل.

ـ لا.. لسنا مضطرين إلى التوفير من أجل طفل.

سأل: «إذن ما سبب التأخير؟ أحب أن أكون الأخ الأكبر.. وأنا لم أفكر بالأمر كثيراً قبل أن ننتقل إلى هنا. أتذكرين عندما كنا في المطعم الصيني، كان الجدان في الطاولة المجاورة لنا، يتكلمان.. ويقولان أشياء جميلة عن عائلتنا. ساعتها بدأت أفكر جدياً بالأطفال.

دعكت روبن يديها معاً وهي تجمع أفكارها: «جيف.. الأمر ليس بسيطاً هكذا، فقبل وجود طفل يجب أن يكون هناك زوج».

رد جيف وكأنها أهانت ذكاءه: «حسن جداً.. بالطبع، يجب أن تتزوجي كول أولاً أليس كذلك؟ يجب هذا.. وإلا لما سمحت له بالتودد إليك».

تنهدت روبن.. بالطبع يعجبها كول، لكن الأمر ليس بمثل هذه البساطة. ولسوء الحظ لم تكن واثقة من قدرتها على الشرح لصبي في العاشرة من عمره يحتاج إلى طريقة خاصة في التعبير.

ـ أنا..

ـ لا أتذكر أنني رأيتك تنسجمين مع رجل هكذا. لقد بدوت جادة تماماً.. وبينما أنا أتسلل عائداً إلى غرفتي سمعته يطلب منك تناول العشاء معه الليلة.. وبدا لي هذا مشجعاً..

في المرة القادمة التي سيتكلمان فيها، سيختبئان في خزانة بعيداً عن نظر جيف وسمعه.. يا لهذه الأشياء التي يفكر بها الولد..

ـ سوف تتناولين العشاء معه.. ألن تفعلي؟

ـ بلى.. لكن..

ـ ما المشكلة إذن؟ سأطلب منه الزواج منك إذا أردت.

قفزت واقفة وهي تصيح: «جيف! لا بكل تأكيد. هذا شيء بيني وبينه، هل هذا مفهوم وواضح؟».

تمتم: «حسن جداً».

لكنه لم يبدُ سعيداً. وأخذ قطعة توست، يفتتها: «لكنك ستتزوجينه.. أليس كذلك؟».

ـ لست أدري.

ـ ولماذا لا تدرين؟ كول أفضل شيء حدث لنا على الاطلاق!

ـ المسألة أكبر من إدراكك حبيبي.

ونظرت إلى الساعة ببطء: «لقد حان وقت تغيير الثياب قبل ذهابك عند جيمي».

هز جيف رأسه وركض نحو السلم.. ولحقت روبن به بسرعة أقل بكثير، وشعرت بالراحة لأنها وضعت حداً لهذا الموضوع المعقد والمحرج.

عندما أخذ جيف قفاز البايسبول قال لوالدته:

ـ جيمي والاش وأنا، ذاهبان إلى ملعب المدرسة لنتدرب على ضرب الكرة.. هل هذا حسن؟

ردت روبن شاردة الذهن: «حسن جداً.. كم ستتأخر؟».

ـ ساعة.

ـ سأذهب لشراء الطعام، لذا إذا لم أكن في البيت ساعة رجوعك، تعلم ماذا تفعل؟

تمتم: «طبعاً».

* * *

مرت امرأة متوسطة العمر تقود عربة المشتريات من أمام روبن وسألتها:

ـ أنت روبن ماسترسون.. أليس كذلك؟

ـ أجل..

كانت عينا المرأة دافئتين وابتسامتها ودية: «هذا ما ظننته.. لقد

رأيتك عن بعد. أنا جويس والاش.. جيمي وجيف صديقان حميمان.. في الواقع هما الآن في ملعب المدرسة، يتدربان على البايسبول.

ـ طبعاً.

تابعت جويس: «كنت سأدعوك إلى منزلي لشرب القهوة، لكنني بدأت العمل في دوام جزئي، ولا يبدو أنني سأتمكن من تنظيم وقتي».

ـ أعرف ماذا تعنين.

العمل بدوام كامل والعناية بجيف والمنزل، هو كل ما تستطيعه روبن. ولا تعرف كيف تتمكن الأمهات الأخريات من انجاز الكثير.

قالت جويس: «هناك مكان نجلس فيه، هل لديك وقت للحديث؟».

وافقت روبن بابتهاج: «بالتأكيد. فأنا كنت راغبة في لقائك بالفعل».

قالت جويس وهما تقفان أمام منصة البيع للخدمة الذاتية.

ـ فهمت أن جيف لاعب بايسبول عظيم.

هزت روبن رأسها، وصبت لنفسها كوباً بلاستيكياً من الشاي المثلج ودفعت ثمنه.

ـ جيف يحب البايسبول حقاً. لكن امله خاب لأنه لم يستطع اللعب مع جيمي.

ـ إنهم يشكلون الفرق حسب سنة الولادة.. ويوم مولد جيمي في شهر كانون الثاني، لذا فهو مع مجموعة أخرى.

وقطبت: «ولا معنى لهذا.. أليس كذلك؟».

وضحكت. ولم تستطع روبن إلا أن تستجيب لضحكة جويس الناعمة المعدية، ووجدت نفسها تضحك كذلك.

جذبنا كرسيين إلى إحدى الطاولات الصغيرة في قسم المقهى من السوبر ماركت.

قالت جويس ضاحكة: «أشعر برغبة في أن أرمي ذراعي حولك.. صدف أن رأيت كول كامدن منذ أيام، ولم أصدق عينيّ. كنت كمن رآه

قبل عشر سنوات.. بالطريقة التي كان عليها. وظننت أنني رأيت جيف معه.. هل كانا معاً في حديقة بالبوا العامة مؤخراً؟».

ـ لقد جاء كول إلى أول مباراة لجيف.

هزت جويس رأسها: «آه.. لست أدري إذا كان أحد قد أخبرك، لكن هناك تغييراً ملحوظاً حدث لكول مؤخراً. ولا أستطيع القول كم أنا سعيدة لرؤية هذا. لقد مر كول بالكثير من الأحزان».

قالت روبن: «كول كان رائعاً مع جيف».

ثم ابتلعت ريقها بشدة. وأحست مجدداً بالخوف من أن يكون راغباً فقط في أن يكون له ابن، وليس لإقامة علاقة معها.

أضافت جويس: «لدي إحساس أنكما كنتما رائعين بالنسبة له».

ابتسامة روبن كانت تفتقد إلى الاقتناع.

وتابعت جويس تشرح لها: «زوجي وأنا كنا نعرف كول جيداً قبل الطلاق. لاري، زوجي، وكول، كانا يلعبان الغولف بعد ظهر كل يوم سبت.. ثم قررت جانيس إنها تريد إنهاء الزواج، فتركته وأخذت بوبي. ولقد حاول كول حقاً إنقاذ ذلك الزواج.. لكن العلاقة كانت تمر بمشاكل منذ مدة طويلة. وكان كول يحب ولده، ويريد أن يفعل ما بوسعه ليجنبه مصاعب الطلاق.. لكن جانيس، على أية حال..».

وصمتت فجأة، تدرك كم قالت: «لم أكن أقصد أن أخوض في كل هذا.. إنه تاريخ قديم. أردت فقط أن تعرفي كم أنا مسرورة للقائك».

بما أن كول لم يخبرها شيئاً عن ماضيه، كان على روبن أن تعض لسانها لتمنعه من التوسل لجويس بمتابعة الحديث.. وأحنت رأسها قائلة: «وأنا مسرورة كذلك بلقائك...».

ثم رفعت جويس رأسها مبتسمة: «لقد حصل جيمي أخيراً على الصديق الذي يريده، هناك قلة من الصبيان هنا بمثل عمره، وأقسم أن ابني كان على استعداد لإطلاق ألعاب نارية حين سجل جيف في المدرسة،

وعرف أنكما تقيمان على مقربة منا».

هزت روبن رأسها: «ادعى جيف أنه لن يستطيع العيش في منزل تحيط به البنات.. ولو لم يلتقي بجيمي، لكنت واجهت تمرداً».

ـ لم يكن هناك الكثير من التغييرات في هذا الجوار منذ سنوات، نحن مجموعة متقاربة، كما لا بد أنك اكتشفت. هيذر لورنس حبيبة حقيقية، وأتمنى لو كان لي وقت أطول لأعرفها جيداً.. وكول.. حسن جداً.. أعرف أن هذا المنزل الضخم كان لعائلته لسنوات عديدة، لكنني توقعت أن ينتقل منه بعد مقتل جانيس وبوبي.

الصمت الذي تلا، لم يقطعه سوى شهقة روبن المنخفضة اللاواعية.

ـ ماذا قلتِ؟

ـ قلت إنني لا أستطيع فهم استمرار كول في السكن في هذا المنزل وفي شارع «أورتشارد» أهذا ما تعنين؟

ـ لا.. بل ما بعد هذا.. عن جانيس وبوبي.

كان صعباً على روبن أن تتكلم، كان لسانها بجفاف الصحراء، وكل كلمة كانت تنزعها من سقف حلقها انتزاعاً.

ـ افترضت أنك تعرفين أن كليهما قتل.. ولم أدرك.. أعني، اعتقدت أن كول أخبرك.

ـ أعرف بموت بوبي.. جيمي قال شيئاً لجيف، وجيف نقله لي.. لكن لم أكن أعلم أن جانيس ماتت كذلك. لقد أخبرتني هيذر لورين عن الطلاق، لكنها لم تقل شيئاً عن موت زوجة كول.

ـ لا أظن أن هيذر تعلم. لقد انتقلت إلى الجوار بعد مدة من الطلاق.. والله يعرف كم كان كول متكتماً حول هذا الموضوع.

ـ ومتى حدث كل هذا؟

ـ منذ عدة سنوات، كانت مأساة مروعة. مجرد التفكير بها يجعلني أتفطر ألماً. وأنا لا أقصد أن أتقول الأقاويل، لكن بصراحة، إذا كان هناك

من يجب أن يلام فهي جانيس.. لم تكن امرأة من النوع الذي يسهل معرفته أو التودد إليه. ولا يجب أن أذكر الأموات بسوء.. لكن جانيس أسدت معروفاً لكول حين تركته.. وبصراحة، أعتقد أنه أدار عيناً عمياء عن مساوىء زوجته بسبب بوبي.

ـ وماذا حدث؟

ـ لم تكن جانيس راضية عن مركز كول كمحامي للحكومة. كنا نتناول القهوة معاً بين حين وآخر، وكل ما كانت تفعله هو التذمر من تضييعه مواهبه، وهو القادر على كسب المال الكثير. كانت طموحاً، لكن كول كان يحب عمله ويشعر بواجب متابعة التزاماته.. ولم تفهم جانيس هذا قطّ. ولم تحاول حتى أن تتعاطف مع وجهة نظره، كانت تريد المزيد دوماً، والأشياء الأفضل والأحدث، ولم تكن تعمل.

صمتت جويس قليلاً.. ثم: «لم تكن جانيس يوماً سعيدة. ولا مكتفية أبداً، وكرهت المنزل والجوار.. لكنها فجأة أدركت أن التذمر والاحتجاج لن يفيداها بشيء، فقد كان كول ينكب بالكامل على إنجاز مسؤولياته تجاه المدينة، هكذا لعبت الورقة الرابحة لديها.. تركته وأخذت بوبي معها».

ـ لكن، ألم يحاول كول كسب حق الوصاية على بوب؟

ـ طبعاً.. كان يعرف، كما الجميع، أن جانيس كانت تستغل ابنهما كرهان.. فهي لم تكن يوماً أماً صالحة، والحقيقة أنها كانت مدمنة. وكانت هناك أوقات أوصلتُ فيها بوب إلى منزله وعرفت أنها لم تكن في وعيها الكامل.. وكنت على استعداد أن أشهد لصالح كول وقلت له هذا، وكان ممتناً.. لكن الحادث حصل وانتهى كل شيء.

استقر ثقل ضخم على صدر روبن: «الحادث؟».

أخذت تتنفس بألم. وتتجرع ذكريات تود لو تنساها. ذكريات حادث آخر، ذلك الذي انتزع زوجها منها.

ـ كانت غلطة جانيس، أعني الحادث. كانت في حالة نفسية سيئة جداً، وما كان يجب أن تمسك بمقود سيارة. في اليوم السابق، ذهب كول لرؤية محاميه، يتوسل إليه التحرك بسرعة، لأنه كان خائفاً من أن تصبح جانيس غير مسؤولة أكثر فأكثر.. لكنه لم يع كم كانت مريضة نفسياً إلا بعد أن انتقلت بعيداً.. وكم أصبحت تعتمد على المسكنات كي تمرر أيامها.

همست روبن: «يا إلهي العزيز.. لا بد أن كول أحس بالذنب».

ردت جويس، بصوت مرتجف: «كان الأمر فظيعاً.. ولم أكن أدري ما إذا كان كول سيعيش في السنة الأولى.. سجن نفسه في منزله، وقطع علاقته مع كل الجوار. كان منغمساً تماماً في حزنه.. فيما بعد، بدا أنه خرج من ذلك الحزن قليلاً، لكنه لم يعد كما كان أبداً».

صمتت جويس قليلاً: «من سخرية القدر في كل هذا، أن جانيس كانت ستحصل في النهاية على كل ما تريد، لو أنها كانت أكثر صبراً. فمنذ سنتين قبل كول شراكة في إحدى أهم المؤسسات القانونية في المدينة.. وضع لنفسه اسماً حقيقياً، لكن المال والمركز ليس لهما معنى عنده».

ـ أظنك على حق.. لقد أخبرني كول، ليس من مدة طويلة، أن لديه أملاكاً إلى الشمال من هنا، ورثها عن جده. وهو يعيد إصلاح المنزل، وقال شيئاً عن الانتقال إلى هناك.. حيث يقضي معظم اجازات نهاية الأسبوع.

هزت جويس رأسها: «لقد تساءلت عن شيء كهذا. هناك إشاعات تطوف في الجوار، إنه يمضي أوقاته مع امرأة».

أحست روبن بالخجل، وتذكرت كيف أنها كادت تصدق الإشاعة بنفسها.

وأكملت جويس: «لمدة طويلة، تساءلت عما إذا كان كول سيستعيد وعيه بعد موت جانيس وبوبي.. لكنني الآن مؤمنة أنه استعاد وعيه

بالفعل.. ولا أستطيع منع نفسي من التفكير بأن لك أنت وجيف فضلاً كبيراً في هذا».

ـ أنا.. أعتقد أنه كان سيخرج من قوقعته في النهاية.

ـ ربما.. لكن التغيير الذي حدث له مؤخراً هو الشيء الأكثر تشجيعاً، حتى الآن.. ولست أدري ما هي مشاعرك نحو كول، لكنك لن تستطيعي أن تجدي رجلاً أفضل منه.

همست روبن، تتلفظ بمشاعرها لأول مرة: «أنا.. أقع في حبه».

وتعلقت الكلمات في الهواء، مثل سحابة سوداء ثقيلة.

قالت جويس بحماسة: «لكنني أعتقد أن هذا أمر رائع تماماً».

ـ أنا لا أعتقد هذا.

الآن وقد تلاشت الصدمة، اضطرت روبن إلى مواجهة غضبها.. فكول لم يخبرها بشيء كهذا.. وآلمها هذا.. لكن ما أحست به لم يكن يقارن بحزن كول في كل صباح يواجهه. ولا بالألم الذي يجثم على حياته.

قالت جويس: «أوه.. يا إلهي.. لقد فعلتها الآن حقاً.. ألم أفعل؟ أعرف أنه كان علي أن أبقي فمي مقفلاً.. أنت متكدرة وهذه غلطتي».

حاولت روبن أن تتصنع ابتسامة ما دون نجاح، وهمست: «هذا هراء... أنا ممتنة أننا التقينا، وأكثر من ممتنة لحديثك عن جانيس، وابن كول».

معرفتها بهذه الحقيقة آلمتها وجعلتها تشعر بأنها ما تزال على الهامش. فلم يمنحها الثقة حتى الآن.

كانت متكدرة جداً خلال الرحلة القصيرة إلى المنزل حتى أنها أخطأت مفرق شارع أورتشارد، واضطرت إلى سلوك شارع جانبي لتعود.

وعند اقترابها من المنزل، رأت كول خارج منزله يسقي مرجته الخضراء. ولوح لها، لكنها تظاهرت أنها لم تلاحظه. وتوقفت في الطريق

الداخلية لمنزلها. . كانت تريد شيئاً من الوقت قبل مواجهته. . . وحاولت أن تتجاهله وهي تنزل من السيارة. . إنها تحتاج إلى بضع دقائق لتستجمع أفكارها وتسيطر على مشاعرها.

كانت على وشك أن تكون آمنة. . على وشك الدخول إلى منزلها. . حين أوقفها كول.

نادى: «روبن».

وركض نحوها: «مهلك لحظة. . هل تسمحين؟».

تمكنت من تهدئة نفسها. . وسوّت كتفيها لتستجمع وقارها.

عيناه الرائعتان كانتا تبتسمان وهو يركض نحوها. الواضح أنه لم يدرك أن هناك شيئاً خاطئاً.

وسألها: «هل قال لك جيف شيئاً عندما رآنا ليلة أمس؟».

جف فمها، حتى أنها اضطرت أن تبتلع ريقها مرتين:

ـ أجل. . لكن لا تقلق، أظنني تمكنت من التعامل معه.

فرقع بأصابعه ممازحاً: «يا الله! أعتقد أن هذا يعني أنني لن أمر بتجربة الزواج تحت تهديد السلاح؟».

هزت رأسها، مبقية عينيها منخفضتين، خشية ألا يتمكن من قراءة المشاعر المعتمرة داخلها.

وقالت: «لا داعي للخوف من سوى الخوف ذاته».

ـ روبن؟

وجعل من اسمها سؤالاً، ومداعبة: «هل هناك خطب ما؟».

هزت رأسها نفياً، تنقل الكيس من ذراع إلى أخرى وقالت بمرح زائف: «بالطبع لا».

رفع الكيس عن ذراعها. . وعرفت أنه كان عليها أن تعارض، لكنها لم تستطع. . فقد أحست أن قواها مستنزفة، واتجهت إلى داخل المنزل وهي تعرف أن كول سيلحق بها.

سأل مرة أخرى: «ما الأمر؟».

ووضع كيس المشتريات على طاولة المطبخ.

ـ لا شيء. . الأمر فقط أن أمامي الكثير لأفعله، إذا كنا سنخرج إلى العشاء الليلة.

ـ ارتدي شيئاً جميلاً، لأنني سآخذك إلى مطعم أربعة نجوم.

ـ شيئاً جميلاً؟

وراجعت في ذهنها محتويات خزانتها، التي لم تكن تحوي شيئاً جميلاً بالمرة. وقال كول ممازحاً: «سوف أتودد إليك، وأدير رأسك بكلمات حلوة».

ولم يكن بحاجة إلى كل هذا ليدير رأسها. فهي الآن قريبة جداً، من الوقوع في حبه. .

حولت اهتمامها بغتة إلى كيس المشتريات. وأخرجت بضع لفافات منه فوضعتها على رف المغسلة. ولكن حين أصبح كول خلفها، أغمضت عينيها ووجدت نفسها تعترف.

ـ ليس ضرورياً.

أدارها كول لتواجهه: «ما هو الذي غير ضروري؟».

ـ العشاء، التودد، والكلام الحلو.

وتشابكت نظرتاهما. . وكأنهما يرقصان، وحين سمعت الباب الأمامي ينفتح، ابتعدت عن كول في اللحظة التي دخل فيها جيف إلى المطبخ.

وتوقف الصبي مسمراً. وقطب جبينه، لقد شاهدهما على الأرجح في وضع حميم مرة ثانية.

تقدم بعفوية إلى البراد وفتح بابه: «هاي أمي. . هاي كول. هل هناك شيء لائق نشربه في هذا المكان؟».

اقترحت روبن: «الماء؟».

رفع جيف عينيه إلى السماء: «مضحك أمي.. مضحك جداً».

ـ هناك المزيد من أكياس المشتريات في السيارة. هل تجلبها؟

ـ حسناً.

وركض إلى الخارج، ثم عاد بعد دقيقة يحمل كيساً واحداً يفتش فيه وهو يدخل المطبخ ببطء.

قال كول وهو يضع يده على كتف جيف: «سأساعدك أيها الرياضي».

ونظر إلى روبن لتقول لها عيناه إنهما سيتابعان نقاشهما لاحقاً.

سألها جيف، وعلبة صودا باردة في يده: «هل يمكن أن ألعب قليلاً مع بلاكي؟».

ـ حسن جداً.

أخلت روبن رف المغسلة، وصنعت سندويشاً لجيف، للغداء.. لا شك أنه منغمس في لعبه مع كلب كول، لأنه لم يسرع للإعلان عن جوعه.

خرجت لتقف في الشرفة الأمامية الصغيرة، وابتسمت وهي ترى جيف يلعب مع اللابردوار.. وفكرت بعجب، كم هما متجاوبان معاً.

ابتسمت حين رأت أن كول في الخارج كذلك، وقد أنهى لتوه سقاية المرجة الخضراء.

نادت: «جيف.. لقد صنعت لك سندويشاً».

صاح: «بعد دقيقة، هاي أمي انظري».

ورمى كرة عبر المرج.. وركض بلاكي خلفها. وتوقف والكرة الحمراء في فمه.

قال جيف: «تعال بلاكي.. ارم لي الكرة».

قالت روبن مذهولة: «لا يمكنه فعل هذا».

ـ بالتأكيد يستطيع.. راقبيه فقط.

وكما ادعى جيف تماماً، قفز بلاكي في الهواء على قوائمه الأربعة، ورفع رأسه، ليرسل الكرة نحو الشارع.

صاح جيف: «سآتي بها».

لاحظت روبن ردة فعل كول أولاً.. نظرة رعب غطت وجهه، ورمى خرطوم الماء من يده.. وأخذ يصرخ وهو يركض.

ومثلها مثل ابنها، كانت روبن منغمسة في ألاعيب بلاكي، بحيث أنها لم تلاحظ السيارة القادمة بسرعة عبر الشارع، ومباشرة نحو جيف.

***

www.elromancia.com

٨ ـ حين يحلو السمر . . .

صرخت روبن: «جيف!».

كادت تختنق خوفاً وذعراً، لكن يديها انسابتا إلى فمها بارتياح، بعد أن أمسك كول بخصر جيف وأبعده عن خطر السيارة المسرعة. . وقع الإثنان إلى الخلف فوق العشب المبلل. فركضت روبن نحوهما.

صاحت بصوت هستيري: «جيف. . كم مرة قلت لك أن تنظر حولك قبل أن تركض إلى الشارع؟ كم مرة؟ أنت تستحق الضرب».

احتج جيف بصوت مرتفع: «لقد رأيت السيارة. . رأيتها! وكنت سأنتظر مرورها. . صدقيني!».

وقف على قدميه وبدا عليه وكأنه أهين، بردة فعل مبالغ فيها.

قالت روبن، وهي تشير بيدها بشراسة: «عد إلى المنزل وانتظرني هناك».

كانت ترتجف بقسوة، وبالكاد تستطيع الكلام.

كانت استعادة كول لهدوئه أكثر بطئاً من جيف، فجلس يدعك عينيه بيده. . وجهه شاحب، وتعابير وجهه متخشبة رعباً.

سارعت روبن تطمئنه: «كل شيء على ما يرام. . جيف لم يتأذ».

وخرت على ركبتيها أمامه.

هز كول رأسه دون أن ينظر إليها. . وأصبحت عيناه خاليتين من أي

تعبير، وتابع هز رأسه ببطء، وكأنما يريد تنقية دماغه.

قالت روبن بصوت منخفض: «كول. . هل أنت بخير؟».

ابتسم لها ابتسامة شاحبة: «أنا. . لا أعرف. للحظة هناك، ظننت أن جيف لم ير السيارة و. . . يا إلهي. . لا أعرف. . لو أصيب ذلك الصبي بأذى. . ».

همست روبن: «شكراً لك على التصرف بسرعة».

وأحست بالامتنان والفرح يملآن قلبها. . وهي تسعى إلى طريقة لتواسيه. ولو أن قلبها كان يتألم لكلماته. . في الأسابيع الماضية، خشيت أن تكون مشاعره تجاهها هي رغبته في استبدال العائلة التي فقدها.

قالت: «تعال معي. . سأصنع لك بعض القهوة».

تمتم كول موافقاً. لكنه لم يبدُ متعجلاً للابتعاد عنها. . ولم تكن هي، متعجلة لتركه. كانت تستمتع بتلك اللحظات من القرب، بعد أن زال الذعر من قلبها.

همس كول: «لقد فقدت ابني».

وبدت الكلمات وكأنها منتزعة من أعمق نقطة في روحه. . كان في صوته عذاب لا يفهمه الا من عانى مرارة الفقدان. . وأكمل: «في حادثة سيارة منذ ست سنوات».

همست له: «أعرف».

ورفع نظره ببطء ليلتقي بعينيها. . كان هناك مزيج من الارتباك والحزن العميق: «من قال لك؟».

ـ جويس والاش.

أغمض كول عينيه: «يمكنني الاستفادة من تلك القهوة».

وقفا معاً. . وشكت في ما إذا كان يريد أن يعينها أو أن تعينه هي.

رفع جيف رأسه حين فتحت روبن الباب الأمامي، ولحقت عيناه المستديرتان بها، وكرر: «رأيت السيارة. . هَايْ. . ما بال كول؟».

ونقل نظره من روبن إلى جارهما ثم إلى أمه مجدداً.

ـ يبدو وكأنه رأى شبحاً.

بطريقة ما، تعتقد روبن أن كول رأى شبحاً.

سأل كول: «هل أنت بخير أيها الرياضي؟ لم أؤذك عندما وقعنا.. أليس كذلك؟».

عض جيف شفته وأطرق برأسه: «لا».

قطب كول: «لا تبدو متأكداً.. هل أنت واثق أنك على ما يرام؟».

هز جيف رأسه على مضض: «سأكون على ما يرام متى عرفت ماذا تنوي أمي أن تفعل بي. كنت حقاً سأقف عند المنعطف.. والله».

قال كول: «أعتقد أنني تطرفت بردة فعلي».

وفتح ذراعيه، وركض جيف إليهما دون أن يتردد ثانية واحدة. وأغمض كول عينيه لحظة، وكأنه يشكر الله بصمت على سلامة جيف.

تمتم جيف: «لم أقصد أن أخيفكما.. كنت سأتوقف».

ـ أعرف.

ترك كول جيف، وتنهد بعمق، ثم نظر إلى روبن: «قلت شيئاً عن القهوة؟».

ابتسمت وهزت رأسها إيجاباً: «سأحضّرها في دقيقة.. حسن جداً جيف، يمكنك الخروج.. لكن من الآن فصاعداً، إذا كنت ستلعب الكرة مع بلاكي، فافعل هذا في الفناء الخلفي.. مفهوم؟».

قال متلهفاً: «بالتأكيد أمي»..

رمى الكرة الحمراء في الهواء، وأمسكها بيد واحدة بمهارة.

ـ تعال بلاكي لقد نلنا العفو من الحاكم لتونا.

بعد قليل صبت فنجانين من القهوة، وحملتهما إلى الطاولة، وجلست قبالة كول.

ـ كان ابني اسمه بوبي.. ولقد مات وهو في العاشرة من عمره.

أحاطت قشعريرة باردة بقلب روبن: «بعمر جيف».

ـ كان بوبي محباً للحياة والمرح. ولم أتمكن يوماً أن أكون قربه دون أن أغرق في السعادة.

كان الكلام عن بوبي صعباً على كول كما هو واضح.. وتاقت روبن أن تفعل أو تقول شيئاً للتخفيف عنه.

ـ كان صبياً من النوع الذي يحلم كل أب أن يكون له مثله. كثير السؤال، حساساً، ذا مخيلة عامرة.

تمتمت روبن: «مثل جيف».

هز رأسه: «كان بوبي يقول لي ألا أقلق على جانيس.. وهي زوجتي، لأنه سيعتني بها».

كتمت روبن أنفاسها وهي تراقب الألم الشديد في عينيه. وقالت: «لست مضطراً لقول هذا لي».

ليس إذا كان هذا سينكأ الجروح التي لم تشف على الأرجح بعد.

قطب قليلاً: «كان يجب أن أقوله لك قبل هذا بكثير. لكن حتى الآن، وبعد كل هذه السنوات، ما زال من الصعب أن أتكلم عن ابني. ولسنوات عديدة، أحسست كأن جزءاً مني مات مع بوبي. أفضل جزء مني، لكنني لم أعد أصدق هذا».

ـ يذكرك جيف كثيراً ببوبي.. أليس كذلك؟

وشكت روبن بأن يفهم كول تماماً أنه ينقل حبه من صبي إلى آخر.

وشدت ابتسامة مترددة زوايا فمه.

ـ كان لبوبي بنية أكثر خشونة، وقامة أطول من جيف، وكانت رياضته المفضلة كرة السلة. لكنه كان متفرجاً أكثر منه لاعباً.. ولعه الحقيقي كان بالكومبيوتر. ولو عاش، لاتجه إلى هذا الميدان.. لم تكن جانيس تفهم هذا أبداً. وكانت تريد منه أن يكون رياضياً، وحاول إرضاءها.

تابع بصوت هامس: «جانيس وأنا تطلقنا قبل الحادثة.. وماتت

معه.. وإذا كان هناك شيء مستحسن في الموت، فهو انهما قضيا معاً وعلى الفور، ما كنت ستحمل أن أعرف أنهما عانيا».

صمت بما يكفي ثم ارتشف قليلاً من القهوة، ثم كشر: «وضعت فيها السكر؟».

ـ ظننتك تحتاج إليه.

ضحك: «هناك أشياء كثيرة أشكرك عليها».

ـ أنا؟

ـ هل تتذكرين يوم هرب جيف؟

توقف قليلاً ثم ذكرها: «لقد سافرت إلى سياتل في رحلة عمل بعد ذلك مباشرة».

ـ أذكر.

ـ في ظهيرة أحد الأيام. وبعد انتهاء الاجتماع. خرجت أتمشى ووجدت نفسي على الساحل. كانت السماء زرقاء والماء أخضر صاف. ومن العجيب أن أذكر كل هذا، فكل شيء واضح المعالم في ذاكرتي.. وقفت وحيداً على رصيف البحر أراقب عبّارة تتجه نحو أحد الجزر، تشق طريقها عبر الأمواج، شيء أحضر بوبي إلى تفكيري. وحدث أغرب شيء.. ومن الصعب أن أجد الكلمات المناسبة للتعبير عنه.

تردد، وكأنه يفتش عن طريقة تفهمهما روبن.. ثم استسلم، وهز رأسه ببطء.

قالت روبن بصوت هادىء: «أخبرني عما حصل».

ـ حسن جداً.. وأنا أقف هناك عند آخر الرصيف.. لست أدري.. لأول مرة منذ فقد ابني، أحسست بوجوده أكثر من غيابه.. وكأنه كان موجوداً إلى جانبي، يشير إلى الجبال الأولومبية ويطرح الأسئلة.. وأحسست أن قلبي أكثر خفة مما كان منذ سنوات.. وكأن الألم الثقيل والحزن، ارتفعا عن كتفي، ودونما سبب أبداً، بدأت أبتسم. وأعتقد أنني

لا زلت أبتسم منذ تلك اللحظة، وأضحك.. وأشعر..

صمت قليلاً: «حين عدت إلى الفندق، كنت متلهفاً لسماع صوتك.. ولم يكن لدي عذر لأتصل بك، لذا ادعيت أنني أريد أن اسأل جيف عن بلاكي.. لكنني أردت سماع صوتك أنت».

ابتسمت روبن عبر تسارع الدموع غير المتوقع إلى عينيها.. تتساءل عما إذا كان كول يعي ما كان يقول. قد يكون رغب في سماع صوتها، لكنه اتصل بجيف.

ـ لقد استعدت حريتي وأنا فوق ذلك الرصيف الساحلي في سياتل.. في تلك اللحظة، بدوت وكأنني استرحت من الماضي. ولا أستطيع القول بالضبط كيف كان ذلك التغيير.. اللقاء بك وجيف لعبا دوراً كبيراً.. إنني أدرك هذا دون ريب، لكن الأمر أبعد مما كنت اتصور. كان هناك شيء في اعماقي يصيح أن الوقت قد أزف لأستريح.

همست روبن دون أن تعرف ما تقول غير هذا: «أنا مسرورة لك».

ـ المشكلة، أنني لم أسمح لنفسي أن أحزن بشكل لائق أو أن أتعامل مع الغضب الذي شعرت به نحو جانيس.. كانت هي التي تقود السيارة، والغلطة غلطتها. مع ذلك، في أعماق قلبي، عرفت أنها ما كانت لتفعل أي شيء متعمد لأذية بوبي. كانت تحبه بقدر ما أحببته أنا.. فقد كان ابنها كذلك.

صمت قليلاً يفكر: «ولم أدرك إلى أن التقيت بك، أن عليّ أن أغفر لجانيس. فأنا لم أكن زوجاً من النوع الذي تحتاج إليه، وأخشى أنني كنت خيبة أمل لها. إدمانها على الكحول كان مرضاً اقرب ما يكون إلى السرطان... ولم أفهم أو أتقبل ضعفها.. وبسبب هذا عانينا جميعاً».

قالت روبن: «لقد كنت قاسياً جداً على نفسك».

لكنها شكت أن يكون كول قد سمعها.

ـ كان الغضب والحزن بسببان لي ألماً دائماً. ورفضت الاعتراف أو

التعامل مع أي منهما. وخلال سنوات، وبدلاً من أن أتعافى، ازدادت معاناتي.. واعتزلت أصدقائي وزملائي، ورميت نفسي في عملي، أقضي في المكتب أوقاتاً أكثر من المنزل. وكان بلاكي رفيقي الوحيد.. ثم، منذ سنتين بدأت العمل في منزلي في الريف. لكن السعادة التي أحسست بها، جاءت من الارهاق الجسدي.. عندما لا يجد الانسان وقتاً للتفكير، البتة.

ولانت أساريره، وابتسم لها: «كنت قد نسيت الإحساس بتحليق طائرة ورق أو الاسترخاء في أشعة الشمس».

ـ ألهذا اقترحت تلك النزهة معي ومع جيف؟

ضحك، وبدت عيناه طفوليتين تماماً: «آخر مرة كنت فيها في حديقة غولدن غايت كانت مع بوبي. قبل الحادثة بوقت قصير. وعندما قررت، أن أقوم بنزهة إلى هناك، كانت تلك خطوة رائدة بالنسبة لي. وتوقعت أن أشعر بشيء من الحزن، ولكنني أحسست بالفرح والسعادة، للتغيير الذي طرأ عليّ.. الضحك كان نعمة نسيتها، أنت وجيف ساعدتماني على إدراك هذا».

كل شيء قاله كول، كان يؤكد مخاوفها الحقيقية.

بعد ساعتين من هذا، وقفت روبن أمام مرآة الحمام، وشعرت بالريبة من هذا الموعد.. إنها تقع في حب رجل لم يستطع تجاوز فقدان ابنه وزوجته بشكل كامل. وربما لاحظت هذا لأنها ترى الأشياء ذاتها، بنفسها. لقد أحبت لوني وستحبه دائماً. ولقد مات منذ سنوات، ولا تزال تجد نفسها تكلمه، وترفض أن تتورط في علاقة أخرى. جزء منها كان غارقاً في الحزن، ويبدو أنه سيبقى هكذا دائماً.

تفحصت نفسها في المرآة، ونظرت إلى تنورتها المتوسطة الطول، التي هي من المخمل الأزرق الناعم، وإلى بلوزتها الحريرية البيضاء ذات الدبوس الكبير المرصع بدموع اللؤلؤ والمثبت عند العنق.

كانت مشغولة بشعرها، تثبت جانباً منه إلى الخلف بمشط صغير،

وتدرس التأثير، حين دخل جيف إلى الغرفة.. استند عفوياً إلى إطار الباب، وكيس رقائق البطاطس في يده.

ـ هاي.. تبدين رائعة.

ـ لا تبدي مثل هذه الدهشة.

وقررت أنها أمضت ما يكفي من وقت لشعرها، وثبتت قرطها اللؤلؤي، أما جيف فقد كان يشعر بالإحباط لأنه لن ينضم إليهما.

تمتم وفمه مليء بقطع البطاطس: «هل سترتدين حليك اللؤلؤية؟».

استدارت لتواجهه: «أجل.. هل تبدو على ما يرام؟».

دس قطعة بطاطس أخرى في فمه، وقضمها بصوت مرتفع: «والدي أهداك هذا القرط.. أليس كذلك؟».

ـ في أول عيد زواج لنا.

أطرق جيف برأسه: «هذا ما ظننته».

لوى أنفه: «سأنزل الآن».

واستدار لينزل السلم، ومعه كيس رقائق البطاطس.

وقفت روبن عند أعلى السلم، ونادت: «سيكون كول هنا في أية لحظة.. لذا يمكنك الذهاب إلى منزل كيلي الآن».

ـ حسن جداً.

عادت روبن إلى الحمام تبتسم في المرآة، تتصور جيف بعد عدة سنوات، ورأت وجه لوني الجميل يرد لها الابتسام.. وأدفأتها الصورة، وتأكدت أن ابنها سيكون شاباً رائعاً مثل أبيه.. ولم يكن بإمكان روبن أن تطلب أكثر من هذا.

سألت زوجها الميت: «أنت لا تمانع أن أضع اللؤلؤ من أجل كول.. أليس كذلك؟»

لكنها كانت تعرف أنه لن يعترض. ومررت أطراف أصابعها على القرط، تشعر بالطمأنينة.

رن جرس الباب للتو. فوضعت لمسات عطرية على عنقها ومعصميها وأخذت نفساً هادئاً. ونظرت بسرعة إلى صورتها مرة أخرى، ثم سارت تنزل السلم لترد على جرس الباب.

كان كول مرتدياً بذلة سوداء مقلمة بخط رفيع.. بدا وسيماً جداً يكتم الأنفاس. وابتسم وهي تدعوه للدخول.. لكنها لم تكن قادرة على التفكير بكلمة واحدة تقولها، ولو كلفها هذا حياتها.

التقطت عيناه عينيها وهو يمد يديه إلى يديها.. ببطء، التفت إليها، وحدق في تسريحة شعرها، وفي الدبوس اللؤلؤي، وفي الثياب التي انتقتها بمنتهى الحرص.

قال: «أنت جميلة جداً».

اعترفت: «كنت أفكر بالشيء ذاته عنك».

قادها كول إلى سيارته، وفتح لها الباب، ثم اسرع ليستدير حول السيارة بخفة، وينزلق في مقعد السائق.

ـ لم تقل لي أين ستتناول العشاء.

ـ لقد قلت لهيذر لورنس، في حال اضطرت للاتصال بك من أجل شيء هام.. وما عدا ذلك، سيكون مفاجأة.

لم تكن روبن تعرف بماذا تفكر، عدد كبير من مطاعم سان فرانسيسكو أماكن مشهورة عالمياً.. لكن معرفتها بأماكن العشاء الفخمة كان محدوداً، وافترضت أن هذا المكان هو في قلب المدينة، إلى أن خرج بالسيارة إلى الطريق الرئيسية المتجهة جنوباً على طول الطريق الدولية «101» نحو المحيط.

سألت مترددة: «كول؟».

نظر إليها دون أن يخفي اللمعان الماكر في عينيه: «لا تقلقي.. أعدك أن يستحق العشاء عناء الطريق».

كان المطعم واقعاً على مرتفع صخري، والأمواج تتلاطم على الحجر

الصلد بشكل يخلب الألباب.

أوقف كول سيارته «البورش» ثم استدار ليساعدها على الخروج، وبدا واضحاً أنه يتردد في تركها.. وقادها نحو الأبواب الموصلة إلى المطعم الأنيق، ورافقهما كبير السقاة إلى طاولة تطل على البحر.

مررت روبن نظرها على قائمة الطعام، فأثارها هذا التنوع المذهل والسعر. فعشاء شخصٍ واحد يعادل قيمة غذاء كامل لمدة أسبوع كامل، لها ولجيف.

عضت شفتها وقالت همساً: «حين قلت مكاناً فخماً.. لم تكن تمزح، أليس كذلك؟».

أنزل لائحة الطعام، وأرسل لها ابتسامة نابضة بالحياة، وقال ببساطة: «الليلة مميزة».

ـ أتقول لي.. لو لم أكن أتناول العشاء معك لتناولت سندويش جبن محمص وحساء الطماطم مع جيف.

جاء الساقي، وطلب كل منهما أحد الأطباق التي اشتهر المطعم بها.. محار وقريدس مقلي.

تحدثا خلال العشاء وذهلت روبن لكثرة ما تناولاه من مواضيع، مع أنهما لم يقتربا من المسألة الأقرب إلى قلبيهما، لكنها ترددت أن تذكر موضوع علاقة كول مع جيف، فهي لم ترغب أن تعرض هذه الصحبة البهيجة إلى الخطر. وكان يمكن لحديثهما أن يستمر ساعات، وهذا ما حصل بالفعل.. فتكلما عن الكتب التي يقرآنها، والأفلام التي شاهداها.. والتسجيلات الموسيقية التي يحبانها.. وكانت مفاجأة سارة لكليهما أن يكتشفا أن ذوقيهما في الموسيقى متماثلان.

ضحكا طوال الأمسية، وتجادلا، وتحدثا وكأنهما كانا صديقين معظم حياتهما، وكان كول يبتسم طوال الوقت.

وأخبرت روبن كول عن عملها، واستمتاعها به كمحاسبة. وأفضت

بمخاوفها من أن لا تكون الأم التي تريدها لجيف.

ـ هناك أشياء كثيرة أريد إنجازها مع جيف.. وليس لدي الوقت لها.. ليس هناك ما يكفي من الساعات في اليوم الواحد.

وتحدث كول عن مهنته وأهدافه، وأحلامه.. وتكلم عن الأربعين فداناً التي أوصى بها جده له.. وكيف أنه يوماً، تمنى أن يحبس نفسه بعيداً عن العالم بانتقاله إلى هناك وسألته روبن: «لكنك لن تفعل هذا الآن؟».

ـ لا.. لم يعد لدي سبب لأختبىء، والمنزل يكاد ينتهي. وقد أنتقل إليه، لكنني سأحافظ على برنامج عملي.

ونظر إلى قهوته الساخنة: «لقد طلب مني في الأسبوع الماضي أن أرشح نفسي لمنصب سناتور».

طار قلب روبن فخراً: «وهل ستفعل؟».

ـ لا.. فأنا لست الشخص المناسب للسياسة، وسأدعم شخصاً آخر.. فالمستقبل السياسي لا يهمني كثيراً، ولم يهمني يوماً.

بدأت فرقة موسيقية تعزف. وتقدم عدة أزواج إلى حلبة الرقص.

أوما كول برأسه، وسأل: «هل لنا أن نرقص؟».

ـ أوه.. كول.. لا أعرف. آخر مرة رقصت فيها كانت في عرس ابن عمي منذ عشر سنوات.. وأخشى أن أدوس على قدميك.

ـ أنا راغب، إذا رغبت أنت.

ترددت، لكنها وافقت على المحاولة.

وحين انتهى الرقص، لم يغادرا الحلبة، وهمس في أذنها: «هل قلت لك كم أنت جميلة؟».

ضحكت روبن وهزت رأسها إيجاباً: «مرتين، مرة وأنت تأخذني من المنزل، ومرة خلال وجبة الطعام. وأعرف أنك تبالغ لكن.. حين أكون معك، أشعر أنني جميلة».

رفعت عينيها إليه، وصدمت للمشاعر القوية فيهما.

وأدهشها بسؤال: «هل تمانعين لو غادرنا المطعم الآن؟».

ـ لا.. بالطبع لا.. إذا كان هذا ما تريد.

قطب: «لو كان الأمر لي، لقضيت بقية الليل هنا، وأنت برفقتي. لكنني أشعر برغبة ملحة للتودد إليك ومغازلتك بصوت عالٍ.. ولو فعلت هذا هنا، فسوف نسترعي الكثير من الاهتمام».

بسرعة، دفع كول الفاتورة، وأسرع بروبن إلى السيارة..

قال بصوت منخفض: «على الأقل، لم أجعلك تبكين هذه المرة».

وقالت معترفة: «لا زال هذا يحرجني.. لم يحدث من قبل مع أحد، ولا زلت لا أفهم السبب.. ولا أعرف ما إذا كنت سأفهمه يوماً».

ـ ولا أعتقد أنني سأنسى.

ـ أرجو منك أن تنسى.

هز رأسه: «لا.. لقد أثر بي هذا بطريقة لا أستطيع تفسيرها، وساعدني على أن أدرك أنني سأحبك.. فبعد جانيس وبوبي، كنت أشك في وجود أي حب أستطيع أن أمنحه. ولقد علمتني العكس.. قلبي مليء بالحب، وكان هكذا منذ اللحظة التي التقينا فيها تقريباً».

وضع يدها على قلبه وقال لها بتوتر: «إنه يضرب بسرعة».

همست: «لماذا؟».

ـ هذا لأنني متوتر الأعصاب.

ـ متوتر؟ بسبب ماذا؟

دس كول يده في جيبه وأخرج علبة مخملية سوداء صغيرة.

وبدأ قلب روبن يخفق مضاعفاً، وقالت بلهفة: «كول؟».

قال بصوت أجش: «أحبك روبن. أدركت هذا لحظة سمعت صوتك حين اتصلت من سياتل.. ومنذ ذلك الوقت، أقنعتني كل لحظة كم أن من المناسب لي أن أحبك».

فتح العلبة وكشف عن أكبر ماسة شاهدتها روبن يوماً.
ببطء رفع عينيه إلى عينيها: «أطلب منك أن تصبحي زوجتي».

***

٩ ـ قبعة الحظ

ضغطت روبن أطراف أصابعها على شفتيها المرتجفتين، وسألت:
«أنت تعني.. أنك رتبت هذه الأمسية كلها.. لتطلب الزواج بي؟».
وبالرغم من كل مخاوفها أحست بسرور غامر يرتفع في قلبها.
تمتم: «بالتأكيد، ليست هذه مفاجأة! فأنا لم أقم بأي جهد لإخفاء ما أشعر به نحوك».
على عكس ما يظن كول، كان طلبه مفاجأة لها: «أنا.. لا أعرف ماذا أقول».
حثها بدفء: «كلمة نعم صغيرة تناسبني».
ـ لكن.. أوه.. كول.. من السهل جداً الزواج بك.. من السهل ربط حياتي وحياة جيف بحياتك دون النظر إلى الوراء. لكنني لا أعرف ما إذا كان هذا مناسباً لنا، أو لك. هناك الكثير لنأخذه بعين الاعتبار.. لن أحب شيئاً أكثر من قول نعم.. لكنني لا أستطيع.
ـ وهل تطلبين وقتاً؟
وبدا أن عينيه تخترقان عينيها في الظلام: «أرجوك».
للآن، بدا هذا أبسط ما يمكن أن تقول، لكن ترددها سببه أعمق بكثير. لقد وجد كول الأمان داخل نفسه منذ لقائها هي وجيف.. قال لها هذا بعد ظهر هذا اليوم. وكانت تشعر بإغراء أن تقول نعم.. أن تدير ظهرها لشكوكها وتوافق على الزواج به..

www.elromancia.com

قالت، وقد أثقل الحزن صوتها: «آسفة على تخييب ظنك».

ـ أعرف تماماً كيف تفكرين.. وبالضبط بماذا تشعرين.

ـ حقاً؟

لكنها شكت بهذا، ولأنها تعرف أنها لن تستطيع تأخير ما ستقول، هبت واقفة.

ـ كنت.. أفكر لتوي بشأن ما قلته لي، بعد ظهر اليوم، كيف أنك تعاملت مؤخراً مع خسارة جانيس وبوبي.. وأنت تتكلم، لم أستطع منع نفسي من الإحساس بابتهاجك. الواضح أنك عرفت طريقك للحرية مجدداً. وأعتقد أن السؤال الذي تحتاج أن تطرحه على نفسك، هو ما إذا كان هذا البعث الجديد الذي تشعر به هو الذي دفعك إلى فكرة الزواج مجدداً.

قال بصراحة: «لا، بل الوقوع في حبك هو الذي دفعني».

همست: «أوه.. كول، لا بد أنك شعرت أن سكني أنا وجيف إلى جوارك، هو بمشيئة الله. وربما تعقد الأمر لأن جيف يماثل بوبي عمراً..».

ـ ربما بدا كل هذا ملائماً. لكن، لو كنت أبحث فقط عن امرأة وولد، لكانت هيذر لورنس قد ملأت الفراغ. لكنني وقعت في حبك أنت.

ردت بسرعة: «لكن كيف يمكن أن تكون واثقاً هكذا، نحن بالكاد نعرف بعضنا».

ابتسم كول لشكوكها.

ـ أول مرة تقربت فيها منك كانت كافية لإقناعي بحبك. كان ذلك ليلة الجمعة بعد عودتي من سياتل.. أتذكرين؟

هزت رأسها إيجاباً، وتابع هو: «كنت مصدوماً بتأثير هذا العناق، حتى أنني تجنبتك لأسبوع كامل.. وإذا أردت الحقيقة، كنت مذعوراً. ويجب أن تتذكري، أنني حتى ذلك الوقت، كنت مقتنعاً أنني غير قادر

على الحب مجدداً.. بعد ذلك اللقاء أحسست بالارتجاج حتى أعماقي.. فاحتجت إلى وقت لأتراجع وأحلل ما حدث، ولهذا السبب ليست لدي مخاوف الآن بشأن الوقت الذي تريدينه، أريدك أن تكوني واثقة تماماً».

أطلقت روبن تنهيدة مكتومة، وارتفعت كتفاها. بدأت تشعر بالمزيد من الثقة بحبه.. لكن عليها أن تكون حذرة، إنها تريده أن يحبها، لأنها هي بنفسها تحبه كثيراً.

همس كول: «إذا كنت ستأخذين وقتاً للتفكير.. فأنا سوف أنتظرك».

***

بدأت أنجيلا تقول: «هل أتيحت لك فرصة مراجعة هذه الأرقام على..».

ثم توقفت فجأة، تلوح بيدها أمام وجه روبن.. وسألت روبن: «فرصة لمراجعة أية أرقام؟».

وركزت بجهد كبير. كانت تعرف أنها تتصرف كمن يسير وهو نائم معظم الوقت، لكنها لم تستطع التوقف عن التفكير بطلب كول الزواج بها.

سألت أنجيلا: «ما بك اليوم؟ كلما جئت لأراك وجدتك تحدقين في الفضاء. وهذا التعبير المربك لم يفارق وجهك البتة».

تمتمت روبن: «كنت أفكر.. فقط».

ـ في ماذا؟

ـ لا شيء.

ـ هيا يا فتاة.. أنت أكثر حكمة من هذا، لا يمكنك خداعي..

وأسندت أنجيلا جنبها على حافة منضدة روبن، وكتفت ذراعيها.

ـ أنا أعرفك منذ زمن بعيد.. أعتقد أن لجارك الوسيم شأناً بهذا، ماذا فعل بك اليوم؟

ـ كول؟ وما الذي يجعلك تسألين شيئاً سخيفاً كهذا؟

هزت أنجيلا رأسها ببطء، ثم مدت يديها تومىء إلى روبن بأن تأتي إليها: «أخبري «ماما» كل شيء. من الأفضل أن تعترفي، وتقولي لي الآن.. لأنك تعرفين أنني، عاجلاً أم آجلاً سأنتزع الحقيقة منك. وهذا ما أفعله دوماً».

قالت روبن: «أخذني للعشاء».

ـ إلى أين أخذك؟

هزت كتفيها، تريد إبقاء هذا سراً لها: «خارج المدينة».

ـ أين، خارج المدينة؟

ـ لست أدري. في مكان ما على الساحل عبر الطريق الدولية «101».

ـ هل كان كليف هاوس؟

تمتمت روبن: «أنا.. أعتقد أن هذا اسمه».

وحاولت أن تنغمس في عملها. ذلك العمل الذي كان عليها أن تنهيه منذ ساعات، لكنها لم تستطع التركيز عليه.. حتى الآن.

صاحت أنجيلا: «آه!».

وأشارت بإصبعها إلى السقف، مثل تحرٍّ في رواية هزلية.

صاحت روبن: «ماذا؟».

ـ إن كان كول أخذك إلى كليف هاوس، فقد فعل هذا لسبب.

ـ بالطبع.. الطعام رائع.. وعلى فكرة، كنت محقة بشأن فرانك.. إنه لطيف بشكل مميز.

قالت هذا بسرعة لتقطع على صديقتها أفكارها.

ـ لقد سبق أن قلت لي رأيك بفرانك. ألا تذكرين؟

وربتت شفتيها بإصبعها: «أخذك كول للعشاء في كليف هاوس».

وكررت هذا مرة أخرى ببطء، وكأنها تراجع وقائع مهمة في رواية جريمة غامضة.

قالت روبن: «لأكن صادقة.. أعتقد أن خياره هذا له علاقة بفرانك».

ـ إذن، شعر كول بالغيرة؟

تراجعت روبن في كرسيها: «ليس بالضبط.. حسناً، ربما قليلاً».

وعرفت أن أنجيلا لن تصدقها لو أنكرت تماماً: «أعني.. لقد دعاني كول إلى العشاء ما إن عرف أنني سأتناول العشاء مع فرانك، لذا أعتقد، أن بإمكانك القول أنه شعر بالغيرة قليلاً. لكن ليس كثيراً».

ـ فهمت.

قطبت أنجيلا عائدة إلى منضدتها، وبقيت نظرة الحيرة في عينيها لما تبقى من الصباح.. ولكنها لم تعد إلى استجواب روبن مجدداً.

لكن حين خرجتا إلى الغداء، أظهرت اهتمامها بموضوع كول.

بدأت تقول وهما تقفان في الصف أمام كافيتريا الموظفين: «كيف حال جيف؟».

مدت روبن يدها إلى الصينية البلاستيكية: «بخير».

ـ أهذا كل ما ستقولينه؟

ـ وماذا تريدين معرفته أكثر من هذا؟

قالت أنجيلا بحرارة: «أنا أسأل عن جيف مرة في الأسبوع.. ثم أجلس متراجعة إلى الخلف أصغي لخمس عشرة دقيقة وأنت تخبرينني عن الجنون الذي يدفعك إليه.. لقد أخبرتني عن هربه وأسهبت القول كم هو رام ماهر. وقدمت لائحة بالتفاصيل الدقيقة للمباريات التي يلعبها..».

وصمتت أنجيلا قليلاً: «اليوم أسألك ببراءة كيف حال جيف، وعلى ماذا أحصل؟ إنه بخير. حسن جداً روبن، أخبريني ماذا حدث مع كول كامدن قبل أن أجن وأنا أحاول التفكير».

قالت روبن بإصرار: «هذا أمر يجب أن أفكر فيه أنا بنفسي».

وتوقفت تتفحص السلطة قبل أن تختار صحن سلطة الجبن البلدي، وتضعه في صينيتها.

صاحت أنجيلا، ترمي ذراعيها في الهواء: «وماذا تفعلين الآن؟ أنت تكرهين سلطة الجبن البلدي»

ورفعت الطبق الصغير من صينية روبن، واستبدلته بسلطة الفاكهة الطازجة، وهي تهز رأسها طوال الوقت.

المشكلة مع أنجيلا أنها تعرف روبن جيداً.

وتقدمنا أكثر قليلاً في الصف.. ووقفت روبن أمام الطبق الرئيسي. لكن قبل أن تختار، نظرت إلى صديقتها، وقالت بجفاء: «هل تريدين أن تختاري لي هنا كذلك؟».

ما إن دفعنا ثمن الغداء، حتى قادتها أنجيلا إلى طاولة قرب النافذة.

جلست أنجيلا في مواجهتها تماماً، ومرفقاها على جانبي الغداء.

ـ هل أنت واثقة أن لا شيء تريدين إخباري عنه؟

ـ عن ماذا؟

ـ عنك وعن كول. لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة رأيتك فيها هكذا. وكأنك عالقة في نوع من المتاهات، لا تستطيعين أن تجدي طريق الخروج منها.

كان الوصف دقيقاً، بحيث أحست روبن بقشعريرة تسري على ظهرها.. إنها تشعر فعلاً بأنها ضائعة دون أمل. دماغها مشوش، مشاعرها مرتبكة، إحدى قدميها في الماضي، والأخرى في الحاضر.. ولا تعرف إلى أين تتجه.

قالت أنجيلا: «لقد تكلمت مع فرانك بعد ظهر يوم الأحد».

ودست شوكتها في السلطة الخضراء الندية: «قال إنه تمتع بالأمسية التي قضيتها معه.. لكنه يشك في أن تريا بعضكما مرة أخرى، لأن من الواضح له أنك تحبين كول كامدن. لقد قال فرانك إنك لم تتحدثي عن شيء غيره طوال الأمسية».

ـ هل قال كل هذا؟

هزت أنجيلا رأسها: «وهو على حق.. أليس كذلك؟ أنت تحبين كول».

ـ أنا.. أنا لا أعرف.

ـ ماذا تعنين أنك لا تعرفين؟ الأمر ظاهر ولا يمكن اخفاؤه. أنت تسيرين ساهمة ومذهولة.. تكادين تصطدمين بالجدران.

ـ تجعلين الأمر يبدو وكأنني بحاجة إلى سيارة إسعاف.

همست أنجيلا: «أو طبيب».

ومالت فوق الطاولة قدر ما استطاعت: «أو ربما إلى محامٍ..».

ورفعت صوتها: «هذا هو الأمر!».

واسترعت اهتمام عدة أشخاص على طاولات قريبة.

ـ لقد خذلك كول أليس كذلك؟ وأنت الآن مشوشة لا تعرفين ماذا تفعلين. قلت لك إنني سأعثر على الجواب عاجلاً أم آجلاً.

ولمعت عيناها انتصاراً.

كادت روبن تقفز عن كرسيها وصاحت: «هذا ليس صحيحاً».

وأحست بالاحمرار يتجمع على خديها وهي تنظر حولها.. حين عادت إلى الجلوس غطت وجهها بيديها: «إذا كان يجب أن تعرفي.. لقد طلب مني الزواج».

سادت لحظة صمت، قبل أن تستطيع إنجيلا الصياح بحبور:

ـ هذا ممتاز! رائع! يا إلهي يا امرأة! ما بالك؟ يجب أن تكوني هائمة في السماء السابعة.. لا يحدث كل يوم أن يتفوه رجل وسيم ثري بطلب زواج. أتمنى من الله أن تكوني تمسكت بالفرصة.

وترددت فجأة: «روبن؟ لقد قلت له إنك ستتزوجينه.. ألم تفعلي؟».

ـ لا.. طلبت منه بعض الوقت لأفكر.

عوّلت أنجيلا: «تفكرين؟ ماذا هناك لتفكري فيه؟ إنه ثري، ووسيم.

ويحبك ويحب جيف، ماذا يمكن أن تطلبي أكثر من الرجل؟».

تجمعت الدموع في عيني روبن وهي ترفع وجهها لتلتقي نظرة صديقتها: «أظنه يحب أن تكون له عائلة، أكثر من اهتمامه بي».

* * *

سأل جيف، وهو يلكم قفاز البايسبول بقبضته ليعطيه بعض الطراوة: «هل كول قادم؟».

ـ لا أعرف.. أنا لم أكلمه منذ بضعة أيام.

ـ لاحظت هذا.. هل أنت غاضبة منه؟

دخلت روبن مقعد القيادة في سيارتها: «بالطبع لا.. كنا مشغولين».

تلمس جيف حافة قبعة البايسبول، ثم وضعها على رأسه.

ـ لقد رأيته بالأمس، وأخبرته عن المباراة، وقال إنه قد يحضرها، وآمل أن يفعل.

وأملت روبن في سرها أن يكون كول موجوداً.. ففي الأيام الخمسة الماضية، اكتشفت أنها اشتاقت للكلام معه.. ولم تكن قد توصلت إلى قرار. لكنه لم يضغط عليها لتقرر.. أراد أن يمنحها كل ما تحتاجه من وقت.. ولم تدرك روبن كم أصبحت معتادة على وجوده، وكم كانت تحتاج إلى رؤيته، والتحدث إليه. وأن تتبادل معه الابتسام والنظر..!

طوال الأسبوع، كانت تتأرجح في تفكيرها بشأن اقتراح كول بسبب شكوكها.. وتتساءل عما إذا كانت قادرة بالفعل على تجاهلها..

بدأ جيف القول: «قال كول..».

ثم صمت وطارت يداه إلى رأسه.. نظرة رعب غطت وجهه، ونظر إلى روبن، التي سألت: «ماذا هناك؟ هل نسيت شيئاً؟».

ـ قبعة حظي! إنها في خزانة ملابسي.. يجب أن نعود.

ـ من أجل قبعة بايسبول؟

ولم تزعج نفسها بإخفاء كم ترى أن الفكرة سخيفة.

ـ أنت ترتدي قبعة بايسبول.. فما الخطأ فيها؟

ـ لن تفيد.. يجب أن تفهمي أمي. إنها قبعة الحظ لي.. وليست قبعة عادية.. أنا أرتديها منذ أول مباراة لنا. وكنت أرتديها ساعة أصبت أول ضربتين كاملتين لي.. لن أستطيع اللعب دونها.. يجب أن نعود.. أسرعي وإلا تأخرنا، استديري هناك.

ـ جيف.. ليست القبعة هي التي تصنع اللاعب.

ـ عرفت أنك ستقولين شيئاً كهذا.. وفي أعماقي أعرف أن هذا صحيح على الأرجح.. لكنني أريد أن أكون في الجانب الآمن، يجب أن نعود ونأتي بالقبعة!

وهي تعرف أنها ستضيع وقتاً وجهداً في الجدال.

كانت روبن تبتسم وهي تدخل في الطريق الداخلية لمنزلها، جلست في السيارة بينما ركض جيف إلى الداخل ليحضر قبعة حظه، تطلعت إلى منزل كول. لم تكن سيارته هناك، لم يعد إلى المنزل منذ أن غادره في الصباح، وشكت في أن يكون الآن في أملاكه يصلح منزله القديم. وسيخيب أمل جيف إذا لم يحضر المباراة، لكنه سيتفهم الأمر.

خرج جيف راكضاً، وصفق الباب خلفه. وقفز إلى السيارة، وثبت حزام الأمان.. وقال بلهفة: «هيا أمي.. دعينا ننطلق».

عندما وصلا حديقة بالبوا، كان موقف السيارات مكتظاً. وكانت روبن محظوظة بما يكفي لتجد مكاناً خالياً في الشارع.

ركض جيف فوق العشب، مسرعاً نحو رفاقه في الفريق، تاركاً روبن تدبر أمر نفسها، وهذا أمر لا بأس به، لأن قبعته معه وهو راض عن هذا.

كانت المدرجات مزدحمة بالأهل. ووجدت روبن مقعداً قريباً من القمة، فاستقرت فيه وما هي الا هنيهة حتى رأت كول يشق طريقه نحوها.. وخفق قلبها بحركة بهلوانية مفاجئة قبل أن يستقر.. ولم تجد لسانها إلا بعد أن جلس إلى جانبها.

ـ ظننتك تعمل في المزرعة هذا الأسبوع.

ـ وأفوت على نفسي رؤية جيف في الملعب؟ لا أبداً.

وابتسم لها تلك الابتسامة التي توقف القلب.

لم تستطع إبعاد عينيها عنه وهي تسأل: «كيف حالك؟».

كان يبدو بحالة رائعة، نظرته السوداء كانت مليئة بالدفء والحنان.. وكيف يمكن لها أن تمنع نفسها من أن تضيع في عينين سخيتين هكذا؟ وبدا لها من المستحيل أن تقاومه أكثر من هذا.

همس: «لقد افتقدتك إلى درجة الجنون».

وتلاشى كل المرح منه بينما بحثت عيناه في عينيها.

ـ لم أكن أعتقد أن من الممكن أن أشعر بمثل هذه الوحدة.

ـ وأنا افتقدتك كذلك.

بدا أنه يسترخي لقولها هذا، ورد بسرعة: «شكراً لك. هل فكرت بما قلته لك في نهاية الأسبوع الماضي؟».

أطرقت برأسها: «لم أفكر بأي شيء آخر».

ـ إذن.. اتخذت قراراً؟

ـ لا.

وأبقت وجهها منخفضاً.. لا تريده أن يقرأ ارتباكها.

رفع لها ذقنها بأصبعه، يجبرها على لقاء عينيه.

ـ وعدت نفسي أن لا أسألك. ثم لم أستطع منعها.. ولن أفعل مرة أخرى.

ابتسمت له ابتسامة ضعيفة، ونظر كول باتجاه جيف وقال: «أرى أن جيف يرتدي قبعة حظه».

ـ وهل تعرف بأمرها؟

ـ طبعاً، جيف يخبرني كل شيء.

ـ لقد ذُعر حين أدرك أنه يرتدي القبعة الغلط. واضطررت للعودة من

نصف الطريق لأنه ترك القبعة التي تؤمن له الرمي الجيد، في الخزانة.

ـ لا تستطيعين لومه. لقد بقي حظه معه لخمس مباريات حتى الآن.

سألها فجأة: «هل أنت على ما يرام؟».

هزت رأسها إيجاباً، ولو أن هذا غير صحيح تماماً. الآن وهي مع كول، تلاشت كل الشكوك التي قاومتها طوال الأسبوع مثل ضباب تحت شمس ظهيرة. لكن، حين يفترقان، كانت تضطر إلى مواجهة مخاوفها.

قال كول: «بعد أن ينتهي جيف هنا. دعينا نفعل شيئاً نحن الثلاثة».

هزت رأسها مجدداً، غير قادرة على رفض أي شيء له.

ـ دعينا نفكر.. ألم أعد جيف بغداء؟ أذكر أنني وعدته بشراء السمك والبطاطس المقلية، لأننا كنا سنتركه مع هيذر وكيلي لورنس حين ذهبنا إلى العشاء في الأسبوع الماضي.

ضحكت روبن: «يبدو لي إنه قال شيئاً عن هذا».

بعد المباراة، توجهوا إلى المطعم الصغير المبهج الذي يقدم السمك والبطاطس المقلية قرب الميناء. كان الطقس بارداً طول الصباح، لكن الشمس تشتدّ قوتها مع بداية الظهيرة.

بعد غداء طويل، سار الثلاثة على طول الساحل المكتظ، واشترت روبن رغيف خبز مختمر طازج، وباقة زهر ربيعي صغيرة، ووجد جيف أفعى بلاستيكية لم يتحمل العيش من دونها، دفع ثمنها من مصروفه.

قال متباهياً: «انتظروا إلى أن يرى جيمي والاش هذه!».

قالت روبن: «أنا أكثر اهتماماً لأن أرى ردة فعل كيلي».

قال جيف بمرح: «أوه.. كيلي تحب الأفاعي. كان جيمي عندنا يوماً وفكرت أن أخيف كيلي بأفعى حية تعيش في الحديقة.. لكن جيمي هو الذي بدأ بالصراخ. وقالت كيلي إن الأفاعي هي من مخلوقات الله وإن لا شيء نخاف منه.. أوليس مثالياً من فتاة أن تفكر دينياً بالأفعى؟».

ركض جيف فوق الرصيف بينما وقف كول وروبن في نهايته.

قال كول: «تبدين متعبة».

ـ أنا بخير.

ونظرت إلى مياه خليج سان فرانسيسكو الخضراء الباردة.. كول على حق، فلم تعرف طعم النوم.

قال بصوت منخفض: «أرى أشياء كثيرة من نفسي خلالك».

أدهشها كلامه: «وكيف هذا؟».

ـ الألم.. أكثر شيء، كم سنة مرت على موت لوني؟

ـ عشرة. وبطريقة ما لا زلت حزينة عليه.

ـ أنتِ لست واثقة مما إذا كنت قادرة على حب رجل آخر.. أليس كذلك؟ على الأقل ليس بالقوة ذاتها التي أحببت فيها والد جيف.

ـ الأمر ليس هكذا أبداً، أنا.. لا أعرف إذا كان يمكن أن أتوقف عن حبه.

جمد كول.

ـ أنا لم أكن أنوي أخذ لوني منك أو من جيف. إنه جزء من ماضيك، وجزء مهم، زواجك بلوني، وولادة جيف، ساهما في جعلك على ما أنت عليه الآن.

وصمت.. وبقيا صامتين معاً.

ـ لقد مرت على دفن بوبي ست سنوات قبل أن أمتلك الشجاعة لأواجه المستقبل. ولقد تمسكت بحزني، وحملته معي إلى كل مكان ذهبت إليه.. كنت أجرجره وكأنه قطعة متاع ثقيل لا أستطيع الحركة دونه.

ردت: «أنا لست هكذا بالنسبة للوني».

وكانت على استعداد للجدال، ليس قلبياً، بل منطقياً، لأن ما كان يقوله لم يكن صحيحاً. لقد حزنت على زوجها المتوفى وأحست بغيابه، لكنها لم تترك لهذا الإحساس بالخسارة أن يدمر حياتها.

قال كول: «ربما لست حزينة الآن كما كنت في وقت سابق.. لكنني

أتساءل حقاً، عما إذا تركت زوجك يستريح».

هزت رأسها لأنها لا تريد أن تتكلم عن لوني: «طبعاً فعلت هذا».

ـ لا أقصد أن لا أكون متعاطفاً.. فأنا أفهم، صدقيني. الألم العاطفي أمر مألوف لكلينا. ويبدو لي أن الحفاظ على هذا النوع من الحزن، هو مثل نصب خيمة في أرض قاحلة، والانتظار هناك.

ـ أنت تبالغ كول.

ـ ربما. أنت امرأة جميلة روبن، شجاعة وذكية، ومنطلقة. وأنا واثق أن أول سؤال يمكن لأحد أن يطرحه عليك، هو منذ متى مات زوجك. وأراهن أنك حين تردين على السؤال، ستبدو الدهشة على من يسألك.

هذا صحيح، وتساءلت روبن كيف عرف.

ـ معظم الأرامل الشابات يتزوجن مرة أخرى.

ـ وهل تقترح هذا لأنني لم أجد طريقي على الفور إلى نعمة الحياة الزوجية، وهل تعتقد أنني بحاجة إلى علاج نفسي؟ هيا الآن كول، حتى أنت لا بد تدرك سخف هذا.

ضحك متسائلاً: «حتى أنا؟».

جاء جيف راكضاً نحوهما ووجهه محمر من الإثارة، وقال صائحاً، وهو يشير نحو مكان أبعد على الرصيف.

ـ هناك تصوير لفيلم. كاميرات وممثلين وكل شيء، هل أستطيع الذهاب لأتفرج قليلاً هناك؟

هزت روبن رأسها موافقة: «لكن لا تقف في طريق أحد، مفهوم؟».

هز جيف رأسه: «لن أفعل.. أعدك. هاك أمي.. أمسكي لي بالأفعى».

وعاد مسرعاً إلى آخر الرصيف.

ـ إنه صبي رائع روبن.

ـ وهو يحبك.. أنت وبلاكي.

ـ وماذا عن أمه؟

ازدادت حدة المشكلة في حلقها: «إنها تحبك.. أيضاً».

ابتسم كول: «إنها فقط غير متأكدة إذا كان بإمكانها ترك زوجها الميت واستبداله بآخر حي.. هل أنا على صواب؟».

أصابت كلماته الهدف، واعترفت: «لست أدري، ربما السبب أنني خائفة جداً من أنك تريد الزواج بي لأن جيف يذكرك ببوبي، أو أنك اخترعت لنفسك زوجة خيالية، وتظن أنني أتناسب مع الدور».

بدا أن كلماتها صدمته.

ـ لا.. لقد فهمت كل هذا بشكل خاطىء، جيف نعمة زائدة لهذه العلاقة.. لكنني وقعت في حبك أنت، وأنت من أريد أن أصبح عجوزاً معها.. أنت، وأنت وحدك، وليس شيئاً وهمياً. وإذا أردت الحقيقة، أظنك تثيرين كل هذا الاضطراب لأنك خائفة من الزواج مرة أخرى.. العالم الصغير الذي صنعته، مرتب وآمن. لكن، هل هذا ما كان لوني يريده لك؟

ثم تابع بنبرة حادة: «لو كان لوني يقف إلى جانبك الآن، واستطعت أن تسأليه عن زواجك مني، فماذا كان يقول؟».

ـ لا أفهم.

ـ لو استطعت السعي لنصيحة لوني.. فماذا كان سيقول لك؟ ألن يقول: روبن، انظري إلى هذا الرجل، إنه يحبك، ويحب جيف، وهو مستعد للبدء بحياة جديدة.. هذه فرصة لا يجوز أن تتركيها، لا تكوني غبية.. تزوجيه؟

ـ يبدو هذا شيئاً يمكن لصديقتي أنجيلا أن تقوله.

ـ أعتقد أنني سأحب صديقتك هذه، طالما لا تحاول جمعك مع واحد من أبناء عمومتها المطلقين.

وضحك، وتحولت عيناه إلى دفء أكبر وهو ينظر إليها، وعرفت أنه

يتحرق شوقاً إلى أن يبدد كل شكوكها.

ـ أعتقد أنني يجب أن أذهب لأرى ماذا يفعل جيف، وسأتركك مع نفسك لبضع دقائق.. أنا لا أريد الضغط عليك، لكنني أريد منك أن تفكري في ما قلته.

همست وهي تنظر نحو الماء: «أنت لا تضغط علي».

تركها كول، وأمسكت السياج الفولاذي ترفع عينيها إلى السماء.

وهمست: «أوه.. لوني.. ماذا يجب أن أفعل؟».

* * *

١٠ ـ الفردوس

أدامت روبن النظر إلى السماء الخالية من السحب.

ـ يريد مني كول أن أطلب نصيحتك. أوه لوني، أنا لا أعرف حقاً ما هو المناسب لجيف ولي، أحب كول، وأحبك.. لكن في الوقت ذاته لا أستطيع إلا أن أتساءل عن دوافع كول..

وصمتت روبن، تنتظر. صحيح أنها لم تكن تتوقع رداً.. فلا يمكن للوني أن يرد، لم يفعل ذلك قطُّ ولن يفعل يوماً. لكن على عكس المرات السابقة التي حدثته فيها، كانت بحاجة إلى الرد، بالرغم من أن توقعه أمر غير منطقي أبداً.

أحست بفراغ كبير، في كل ما حولها. فشدت قبضتيها إلى جانبها وملأت الدموع عينيها. كانت تشعر بالإحراج، فنظرت حولها. ووجدت أن فريق تصوير الفيلم جذب معظم المتفرجين. ولم يكن هناك أحد حولها ليشهد كربها.. ومسحت الدموع من على خديها.

غضب، بقي هاجعاً في داخلها لسنوات، اندفع إلى السطح بمزيج من الحزن والألم، وانهمرت الدموع على خديها وأخذت شفتاها ترتجفان، في ما علا كتفيها الاضطراب.

واستنزفها الغضب.. استنزفها لأنها لم تدعه يجهز عليها يوم قتل لوني.. كان من المهم أن تسمح له أن يستنزفها يوم قتل لوني.. كان من المهم يومها أن تبدو شجاعة. وأن تتماسك من أجل والدي لوني. لكن

الأكثر أهمية الآن هو أن تتعامل مع الحاضر، لا أن تواجه الماضي.

لقد مات لوني، وكانت حانقة لأنه تركها وحدها مع طفل تربيه، وكان عليها أن تتعامل مع الضرائب، وأن تحمل القمامة وأن تصلح المواسير.. فعلت كل ذلك لسنوات طويله وحدها.. واختزنت الغضب داخلها، ولم تدعه يطفو على السطح.

ـ روبن.

صوت كول، الناعم المتعجل، جاء من ورائها. ولدى سماعها الصوت، استدارت وبدأت تنتحب بحرقة، كانت بأمس الحاجة إلى مواساته كما لم تحتج إلى أحد من قبل.

ولم تعرف كم من الوقت ظلت تنتحب. كان يهمس بكلمات مهدئة لها، كلمات رقيقة، لكنها لم تسمع أياً منها، فقد كان ضجيج أحزانها أعلى من كل صوت.

ما إن بدأت بالبكاء، حتى غدت عير قادرة على التوقف.

كان كول يواسيها بحنان ومحبة، وتمنت لو تستطيع أن تسيطر على هذه المشاعر، وأن تشرح له.. لكنها، كلما حاولت الكلام، ازدادت حالتها سوءاً.

همس: «دعي كل شيء يخرج.. لا داعي أن تقولي شيئاً. إنني أتفهم...».

واستطاعت أن تقطع نشيجها للحظة: «إنه لا يرد. لقد سألته.. لوني لم يرد عليّ يوماً.. لأنه لا يستطيع.. لقد تركني..».

ـ لم يكن يريد أن يموت.

لم يجادلها كول، بل ضمها بحنان.

حاولت لدقائق أن تهدىء نفسها وتتابع الحديث: «جزء مني يدرك أن لوني لم يكن يريد أن يتركني، لم يكن يريدُ أن يموت.. لكنه مات وأنا غاضبة منه».

قال كول: «مثل هذا الغضب هو الذي يجعلنا بشراً».

وتابع مواساتها. وبالتدريج أحست روبن أن رباطة جأشها تعود إلى مكانها. وأحست بوجود جيف حتى قبل أن يتكلم.

سأل كول: «ما خطب أمي؟».

- إنها تجتاز محنة عاطفية.

- وهل ستكون بخير؟

لم تكن روبن راغبة أن يراها ابنها تبكي، وقامت بجهد كبير لتبتعد عن كول، وأن تطمئن جيف بنفسها.

- أنا بخير جيف.. حقاً.

- إنها لا تبدو بحالة جيدة.

قادها كول إلى مقعد، فالتصق جيف بها. ثم مال نحو كول وقال بصوت جاد: «قد يساعدها الشوكولا. في إحدى المرات قالت لي أمي إن لا شيء في الدنيا لا تشفيه الشوكولا».

هل قالت هذا فعلاً؟ وبدأت روبن تبتسم. ولفت ذراعيها حول ابنها واحتضنته. وأحست بقلبها على وشك الانفجار من فرط محبته.

حين انتهت، رفع جيف عينيه إلى السماء ووجه مرة أخرى كلامه إلى كول: «إنها تقلق هكذا من وقت إلى آخر، أتذكر يوم هربت؟».

قال كول: «أذكر».

وابتسمت روبن لما سمعته في صوته، من تسلية. قالت: «هل يمكن أن تتوقفا عن استثنائي من الحديث؟ سأكون بخير.. أحسست فقط بحاجة قوية للبكاء.. لكن لا تقلقا.. لقد مرت العاصفة بسلام».

أفضى جيف إلى كول: «أرأيت ما أعني».

تجاهلت تعليق ابنها: «لكن جيف على حق.. شيء فيه شوكولا سيساعد بالتأكيد».

سألها كول: «هل ستكونين بخير لوحدك دقيقتين؟».

- سأكون بخير، أنا.. لا أعرف ماذا دهاني.. لكنني سأكون بخير تماماً.

- أعرف هذا.

وقبلها على خدها.

وغادرها الاثنان. ومرة أخرى أصبحت وحدها، لم تكن قد فهمت حقاً لماذا شعرت بالألم والغضب هكذا، بعد هذا الوقت الطويل..

عاد جيف بعد أقل من دقيقة، يركض إلى جانبها بقرن آيس كريم فيه الكثير من الشوكولا. وقال شارحاً: «سيأتي كول باثنين واحد له والآخر لي فقد قلت للرجل إن هذا أمر طارىء، وأعطانيه فوراً».

قالت روبن: «هذا تفكير جيد منك».

بعد قليل وصل كول، فجلس الجميع على المقعد الاسمنتي. جيف إلى يمينها وكول إلى يسارها. وأتت على قرن المثلجات تماماً.

قال جيف لكول بمكر: «قلت لك إن هذا سينجح».

قالت مازحة: «وأنا التي سخرت من قبعة حظك».

حين انتهى الآيس كريم، جمع كول الأغراض، وقاد الجميع إلى سيارته.

كان بلاكي موجوداً لاستقبالهم لحظة عادوا إلى شارع أورتشارد، وركض جيف إلى الفناء الخلفي ليلعب معه. في حين سار كول مع روبن إلى باب بيتها، حيث قبل بعرضها لتناول القهوة.

راقبها وهو يقول: «على الأرجح سأغادر قريباً إلى الأملاك».

وجلس إلى الطاولة ويداه تحيطان بالفنجان وكأنه يدفئهما، وأكمل: «هل ستكونين على ما يرام؟».

هزت روبن رأسها، وتقدمت لتقف إلى جانبه، وهي تقول:

- أعرف أنك أخرت ذهابك إلى هناك أليوم بسبب جيف ومباراة البايسبول، وكلانا ممتن لك.

ـ أشعر أنني مسؤول عما مررت به ونحن على الرصيف الساحلي، ما كان يجب أن أقول ما قلته. وأنا آسف روبن..

ـ لقد قلت فقط ما كنت أحتاج أن أسمعه.

ابتسم: «إن فعلت هذا حقاً، فبسبب ما حصل لي وأنا في سياتل. وأجد أن من المذهل أكثر، أن كلينا توصل إلى الإمساك بألمه على رصيف بحري.. أنا في سياتل، وأنت هنا في سان فرانسيسكو. ولقد عدت إلى مدينتي وأنا أشعر بالراحة. لأول مرة منذ موت بوبي وجانيس، سلمت أحزاني.. وبمشيئة الله تمكنت من الوصول إلى الأمان».

وكان هذا بالضبط ما تشعر به روبن حتى أنها وللحظات طويلة لم تستطع قول شيء، ما قاله لها كول عن اختزانها للألم، كان دقيقاً، إنه يفهم.. فقد فعل الشيء ذاته بنفسه... وتعاظم الحب في داخلها.

قال: «أعرف أنك لا تريدين سماع هذا، وأنا لا أريد، حقاً، الضغط عليك. لكن ما إن عدت من سياتل حتى أدركت أنني أقع في حبك، وبدأت التفكير بأن يكون لي ولد آخر».

تردد.. وارتشف جرعة من قهوته، مثلما يرتشف الظامىء الماء الزلال. ووقف بغتة، يكاد يوقع كرسيه إلى الخلف.

ـ من الأفضل أن أذهب قبل أن أقول أو أفعل ما لا يجوز أن أفعله.

لحقت روبن به إلى المدخل، لأنها لا تريده أن يغادر. لكنها لم تكن مستعدة بعد أن تعطيه ما يريد.

توقف أمام الباب السلكي، ووجدت عيناه عينيها على الفور.. ولم يبدُ أنه قادر على منع نفسه من إبعاد خصلة شعر أحمر بني عن خدها.. فأغمضت عينيها للأحاسيس التي انطلقت في داخلها.. كان قلبها ممتلئاً، وبدا لها أنها حصلت على كل الأجوبة الآن.. باستثناء سؤال واحد كان الأكثر أهمية في حياتها.. وحياة جيف.

قال كول بخشونة وهو يبعد يده: «سأراك في وقت ما من الأسبوع

القادم».

ودون كلمة أخرى، خرج من الباب وتوقف عند سلم الشرفة.

نادى كلبه، فسارع بلاكي وجيف إليه ركضاً.

سأل جيف بأنفاس مقطوعة: «هل أنت ذاهب؟».

ـ نعم إلى المزرعة.

رد جيف بحماسة: «أوه.. أجل.. أذكر أنك قلت شيئاً عن هذا مرة، أنت تبني منزلاً.. أليس كذلك؟».

قال كول: «سآخذك معي إلى هناك في وقت ما، أيها الرياضي».

قبل أن تدرك ماذا تفعل، تحركت روبن إلى الشرفة.

ـ كول.

استدار ليواجهها، لكن الحركة بدت مترددة.

ربما كان السبب أنها لا تريد الافتراق عنه، بأكثر مما يريد الابتعاد عنها.

وتقدمت نحو كول: «ألا يمكن أن نذهب، أنا وجيف، معك إلى الأملاك؟».

لم ينتظر جيف رد كول، وأخذ يقفز في الهواء باهتياج.

ـ هاي أمي.. هذه فكرة عظيمة! حقاً عظيمة.. هل نستطيع أن نأتي معك كول؟ يمكن لي ولبلاكي أن نساعدك، ويمكن لأمي أن.. حسن جداً، يمكنها فعل أشياء مثل تحضير الطعام والليموناده وأشياء أخرى حينما يكون الرجال مشغولين.

رأت روبن أن من واجبها أن تقول: «أنا مضطرة أن أقول لكما معاً إنني أضرب بالمطرقة بشكل قوي».

بدا كول مرتبكاً لحظة.. وكأنه لم يكن واثقاً أنه سمع جيداً.

ـ سأحب أن تأتيا معي.. إذا كنت واثقة أن هذا ما تريدينه.

هزت روبن رأسها موافقة.. كل ما عَرِفَتْه أنها لم تعد تطيق الفراق

عنه.

ـ لكن أحذرك، المنزل نصف مشغول، والتوصيلات الصحية لم تتم بعد.

ـ سنتدبر أمر أنفسنا.. أليس كذلك جيف؟

رد جيف بلهفة: «بالتأكيد.. على أية حال هذا أمر سهل على الصبيان».

ضحك كول: «كم يلزمك لتجهزي نفسك؟».

ركض جيف في المرج الأمامي بحماسة: «نحن جاهزان الآن.. أليس كذلك بلاكي؟».

قالت روبن: «أعطني بضع دقائق، لأجمع بضعة أشياء».

وابتسمت.. وكان جيف يبتسم أيضاً بسعادة مطلقة.

أسرت عينا كول عيني روبن بحديثٍ صامت.. إلى أن عاد جيف بسرعة ليخرج من المنزل.. يجر وراءه الشراشف واللحاف بعد أن انتزعها عن سريره.

صاحت مرتاعة: «جيف.. ماذا تفعل؟».

ـ أخذت كل شيء عن فراشي.. أنا على استعداد أن أعيش دون دورة مياه لكنني أحتاج إلى وسائل راحة محددة.

ورمى كومة الملاءات تحت قدميهما: «يمكنكما العودة إلى النظر إلى بعضكما.. سأحضر كل شيء نحتاج إليه».

نظرت روبن نظرة اعتذار إلى كول، وتأوهت: «جيف.. سأجهز أشيائي بنفسي.. شكراً لك».

ناداها من داخل المنزل: «هل تريدين أن أحضر لك شراشفك كذلك؟».

ـ لا.

رفعت الأشياء التي أخرجها جيف وأسرعت إلى الداخل، تقفز السلم

كل درجتين معاً. واكتشفت أن جيف كان يجلس على حافة سريرها، وعلى وجهه تعابير سلبية.

ـ ما بك؟

ـ هل ستتزوجين كول؟

أمام ما يحمله السؤال من توقعات، ارتفع قلب روبن إلى حلقها.. ثم عاد لينزلق إلى مكانه.. وتساءلت لوقت صغير، عما إذا كان كول قد تحدث بالموضوع مع ابنها.. لكنها عرفت بالبديهة، أنه لم يفعل هذا.

ـ وما.. الذي يجعلك تسأل؟

هز كتفيه: «أشياء كثيرة. في كل مرة أظهر فيها، أرى أنكما تتبادلان النظرات، وأنا أحاول التظاهر أنني لم ألاحظ.. لكن الأمر يزداد سوءاً مثل تلك الأفلام التي تحبين استئجارها.. حين كنت تبكين ونحن على الرصيف.. رأيت شيئاً.. كان كول بجانبك يبدو حزيناً حقاً. وكأنه.. يتمنى لو يبكي بدلاً عنك، إنها نظرة جدي ذاتها حين يعرف معاناة جدتي ولا يريدها أن تتكلم.. هل تعرفين ماذا أعني؟»

ـ أعتقد هذا.. وماذا ستقول لو قلت إنني أفكر بالزواج بكول؟.

توقعت روبن صيحات فرح مجنونة. لكن، بدلاً من ذلك، كتف ابنها ذراعيه على صدره، وحرك فمه بطريقة غريبة.

ـ هل أنت جادة؟

ـ أجل.

ـ قد يعني هذا الكثير من التغييرات بالنسبة الينا جميعاً.

ـ طبعاً.

ـ كم شخصاً آخر له دخل في هذا؟

ترددت روبن.. لم تفهم قلق جيف: «ماذا تعني؟».

ـ هل سأحصل على جدين إضافيين من هذا الاتفاق؟

ـ أوه.. ربما، لم أتحدث مع كول.. لكنني أفترض هذا.

ـ وهذا يعني المزيد من الهدايا في الأعياد.. إذا كانت الحال هكذا، أستطيع القول أننا يجب أن نُقدم على هذا.

ـ جيفري ليونارد ماسترسون.. لقد صدمتني!

ـ الولد دائماً يفكر هكذا.. يجب ألا تُبدي دهشتك.

هزت روبن رأسها إحباطاً لتصرف ابنها المادي المفاجيء نحو زواجها المحتمل، وكانت لا تزال مقطبة حين خرجت إلى الخارج..

كان كول في مرآبه، يحمّل أغراضه في مؤخرة شاحنته الصغيرة حين انضمت روبن إليه تعطيه حقيبة ملابس واحدة صغيرة..

وضعها كول في السيارة، وتجنب عينيها بحذر، وقال: «فهمت أنك قلت شيئاً عنا لجيف».

وسمعت نغمة سرور في صوته.

ـ أجل.. وكيف عرفت؟

ـ لقد جاء بكيس من ورق مليء بالملابس، وسأل أي نوع من الهدايا يمكن أن يتوقع من والدتي بمناسبة الأعياد. وسألني عما إذا كان هناك عمات وأعمام في الصفقة.

ولا بد أن مرح روبن بدا جلياً، لأن كول أخذ يضحك.

وتمتمت: «لدى ذلك الصبي نزعة مادية لم أكن أعرف عنها شيئاً».

كان كول لا يزال يضحك: «هل أنت جاهزة؟».

هزت رأسها إيجاباً.. وأخذت نفساً مرتجفاً استعداداً للبدء في هذه المغامرة. كان جيف وبلاكي يحتلان المقعد الخلفي حين اندست روبن في المقعد الأمامي، تنتظر كول.

سأل جيف: «هل ستنشد أناشيد المخيم؟».

ووضع مرفقيه على مؤخرتي مقعديهما ومال إلى الأمام.. ولم ينتظر الرد، بل انطلق على الفور بأغنية عن زجاجات المرطبات الفارغة على الجدار.. وأنشد تسعة وتسعين نسخة من هذه الأغنية.. ثم قدم سلسلة

أخرى من الأناشيد إلى أن خرجت بهم المركبة من الطريق الدولية لتسير في طريق ريفية ليس فيها الكثير من السيارات.

كان جيف في ذلك الوقت قد تعب من الغناء..

أخذ فم كول يلتوي، وكان على روبن أن تعترف أنها سعيدة كذلك.

قال كول: «تذكري.. هذا سيكون مثل المخيم.. المكان لا يزال بدائياً».

ابتسمت روبن له، وقالت: «لا داعي للقلق».

بعد دقيقتين، أبطأ كول سرعة السيارة ليستدير إلى الطريق الداخلية.. لحظتها رأت روبن اللوحة، وقفز قلبها إلى حلقها، وبدأت يداها ترتجفان.

صاحت: «توقف! توقف!».

داس كول بسرعة على المكابح: «روبن، ما الأمر؟».

فتحت روبن الباب الأمامي، وقفزت من السيارة.. وأخذت تركض حتى منتصف الطريق.. وهناك أخذت تحدق بالكلمة الوحيدة المثبته على اللوحة «الفردوس». كانت الدموع تملأ مآقيها، وتتساقط بغزارة على الخدين.

* * *

١١ ـ الحلم

قال كول للمرة الثالثة، وقد امتلأت عيناه بالقلق: «روبن.. لست أفهم».

أخرج جيف رأسه من النافذة، وتمتم: «أراهن أنها تبكي على المصروف الذي تعطينني إياه. شيء ما يجري لأمي، إنها تتصرف ببلاهة طوال اليوم.. ماذا تظن السبب؟».

قال كول وهو يتابع تفحص روبن: «لست واثقاً.. حقاً».

من جهتها، لم تستطع روبن إبعاد عينيها عن اللوحة.. كان جيف على حق بشأن بكائها فقد كانت الدموع تتدفق دون توقف على وجهها.. لكنها كانت دموع الفرح، دموع العرفان بالجميل.. دموع الاعتراف.. هذا بالضبط ما وصفه كول.. لقد توسلت الى الله وجاءها العون، وتوصلا معاً إلى تفاهم. لقد حلت أخيراً معضلتها مع كول.

من دون أي تردد اقتربت روبن من كول، وأخذت عيناها تجوبان فوق وجهه.. الرائع، الوسيم.

ولأن عينيها كانتا طافحتين بالعواطف. لم تستطع فهم تعابير كول. لكن لا يهم، فقد كان قلبها مفعماً بالحب نحوه.

ـ روبن..

ولم تتركه يكمل، بل قاطعته قائلة: «أحبك.. أحبك».

وسمعت روبن باب السيارة يضرب بشدة. وعلمت أن جيف كان يسير

على الطريق نحوهما.

ـ هل ستتحولان إلى عاطفيين أمامي مرة أخرى؟

ولم تسمع روبن ابنها جيداً.. صوت تصفيق حاد أخرجها من حلمها.. وطارت عيناها فوراً إلى جيف، الذي كان يبدو رجلاً بحجم صغير. وفي وجهه وعينيه تجهم شديد.

قال جيف: «هل يدرك كلاكما أين تقفان؟ هناك أماكن لائقة لإظهار المشاعر.. لكن منتصف الطريق ليس واحداً منها».

قال كول: «أنت على حق».

وأمسك يد أمه بحزم وقادها إلى السيارة.

ـ تعالي معي.

وتوقف عند الباب الأمامي لينظر إلى كول: «قد تكون مصابة بالحمى، وهي تتصرف بغرابة أحياناً.. لكن حالتها لم تكن سيئة مثل اليوم».

سأل كول روبن: «روبن.. هل يمكن أن تشرحي لنا الآن؟».

هزت رأسها: «إنها اللوحة «الفردوس»! أخبرني عنها، أخبرني لماذا سمّى جدك المكان بالفردوس».

قال كول حائراً: «لست واثقاً تماماً.. لقد عاش هنا طوال حياته وكان يقول دائماً إن هذه الأرض هي كل ما كان يحتاج إليه. ومما أذكر، قال لي مرة إنه يعتبرها مصدر سعادة بالنسبة له.. ولا يمكنني سوى أن أفترض أنه سماها الفردوس لهذا السبب».

هزت روبن رأسها، غير دهشة للتفسير: «حين تزوجت لوني، حلمنا بيوم نشتري فيه قطعة أرض نربي فيها الحيوانات.. أرض تكفي ليكون لجيف فيها جواد صغير (پوني)، أن تكون فيها حديقة كبيرة، وأملنا أن تكون هذه الأرض قطعة فردوس خاصة بنا.. و.. ومن هنا وصلنا إلى فكرة تسميتها بالفردوس».

هز كول رأسه ببطء. واستطاعت أن تعرف أنه لم يفهم تماماً، وأكملت: «بعد ظهر اليوم، وأنا أقف في ميناء الصيادين، اقترحت علي أن أبحث مشاعري بشأن زواجنا، مع لوني».

ذكرها بلطف: «ما اقترحته.. أن تتصوري ما قد ينصحك به ولم أتوقع حقاً أن تتواصلي معه».

ـ أعرف أن هذا لن يكون مفهوماً لك.. لكنني تحدثت إلى لوني كثيراً. ما أصابني بصدمة قوية، ظهر هذا اليوم أن لوني لم يرد عليّ أبداً. وفهمي لهذا هو ما أجبرني أخيراً على التعامل مع الألم، ومسامحة لوني على موته.

كان جيف ينظر إليها وكأنه على وشك اقتراح استدعاء طبيب لها.

أكملت: «وها أنت تريد الزواج بي، وأنا لا أعرف ماذا أفعل. كنت على وشك أن أصدق بحق، أن عرضك للزواج كان لرغبتك في استبدال العائلة التي فقدتها. أنا أحبك فعلاً، وأردت أن أتحقق أنك تحبني.. وتحب جيف، لكنني لم أكن واثقة..».

ـ وهل أنت واثقة الآن؟

هزت رأسها بحماسة: «أجل.. من كل قلبي، وأنا واثقة كذلك أن الزواج بك سيكون الشيء المناسب لنا جميعاً».

صاح جيف: «بالطبع ستتزوج كول! يا إلهي! لو كان لديك شكوك، كل ما كان عليك أن تفعليه، أن تسأليني، وكنت سأقول لك. من الواضح جداً أننا ننتمي لبعضنا».

همست روبن: «أجل.. هذا صحيح.. أليس كذلك؟».

اقتربت من كول وهي تتابع: «كول.. إنه شرف عظيم لي أن أصبح زوجتك».

قال كول وهو ينتزع عينيه من روبن: «جيف؟ أريد أن أسمع رأيك».

ابتسم وجه الصبي، ولمعت عيناه: «شرف عظيم لي أن أكون ابنك».

مد كول يديه إلى جيف ورفعه بين ذراعيه، وضمه جيداً. بدأ بلاكي بالنباح، يريد الخروج من السيارة. بسرعة، تحركت روبن لتفتح له الباب، وقفز الكلب الأسود إلى الخارج.. جثت إلى الأسفل ولفت ذراعيها حول عنقه: «سيكون لك عائلة كاملة الآن بلاكي».

* * *

بعد ساعتين من هذا، قرابة الغروب، كانت روبن تقف وسط الفناء.. لقد أحبت كل شيء في «الفردوس».. لم يكن شيئاً يشبه المكان الذي حلمت به مع لوني. إنه أروع وأوسع وأكبر.

كان كول يري جيف مخزن الغلال، وكانت روبن تنوي الانضمام إليهما.. لكن الأمسية كانت مشبعة بهواء حلو عطر، وتوقفت لتتنشق ذلك الهواء النقي البارد، وطوت ذراعيها ووقفت تبتسم للسماء الصاخبة.

وتقدم كول بهدوء منها وهو يهمس لها:

ـ هل قلت لك كم أحبك؟

ـ في آخر ربع ساعة؟ لا.. لم تقل لي.

ـ إذن اسمحي لي أن أصحح هذا الوضع: أحبك حتى الجنون.

ـ وأنا أحبك كذلك.

وتنهد يهمس بخشونة: «كان قراراً صعباً، الزواج بي. ألم يكن هكذا؟».

قالت بسرعة: «لا».

ثم تابعت: «كان عليّ أن أكون واثقة من أعماق قلبي أنك لا تريد استبدال ابنك الذي فقدته بجيف. وكان يجب أن أكون متأكدة كذلك، أنك تحبني لنفسي، وليس لأنني أم جيف أو أننا سنكون جزءاً من صفقه واحدة».

هز رأسه بقوة: «جيف ولد عظيم، لا تفهميني بشكل خاطيء. لكن، لم يكن هناك شك أبداً في رأسي بشأن مشاعري نحوك، أول مرة التقينا،

أصبتني إصابة مباشرة بين عيني، ولم أكن أقصد أن أقع في الحب مرة أخرى.. ولا أردت هذا».

ـ ولا أنا كذلك.

ـ لقد علمتنا التجربة معاً أن الحب يسبب الألم.. ولقد أحببت جانيس.. لكنني لم أستطع قطُّ أن أسعدها.. حين تطلقنا، تقبلت حصتي من هذا الجرح بسلام.

ـ لكنها كانت مدمنة كول.. لا يمكن أن تلوم نفسك.

ـ أنا لا ألوم نفسي.. ليس تماماً، لكنني أتقبل جزءاً من اللوم لما حدث، لقد مزقني أن أرى بوبي عالقاً في الوسط، وحتى أخفف الألم، لم أحارب للحصول على الوصاية، كان ضحية بريئة للطلاق، ولم أرغب أن يعاني المزيد من الكرب. كنت على استعداد أن أفعل أي شيء أستطيعه لأمنع الكرب عنه. فيما بعد، كنت وحدي أتعامل مع الإحساس بالذنب، لأنني انتظرت طويلاً.

وصمت قليلاً. وانتشرت ابتسامة بطيئة على وجهه.

ـ فكرة الزواج مرة أخرى، وإنجاب الأولاد كان يرعبني.. لم أكن قادراً على التعرض للضعف ثانية.. وتغير كل هذا حين التقيتك. وكأن الحياة قدمت لي فرصة أخرى.. وعرفت أن عليّ التمسك بها بكلتا يدي أو سأعيش نادماً إلى الأبد.

دخل جيف راكضاً إلى الفناء وقال: «أوه يا أخي.. هل عدتما إلى هذا مجدداً؟».

قالت روبن: «نحن نتحدث».

مر قربهما وبلاكي إلى جانبه: «لكنكما... قريبان جداً من بعضكما للكلام، لا أعتقد أنك فكرت في صنع شيء آكله أمي.. أليس كذلك؟».

ـ لقد حضرت سندويشات.

ـ عظيم.. هل هناك ما يكفي لينال بلاكي واحداً؟

ـ أعتقد هذا.. وهناك علب بوب كورن وبعض رقائق الذرة في المطبخ كذلك.

ـ عظيم.

وأسرع إلى الداخل.

سألت روبن كول: «هل أنت جائع؟».

قال بتركيز: «أجل.. لكن شهيتي ليست للطعام.. إلى متى ستبقينني منتظراً لتصبحي زوجتي؟».

ـ يجب أولاً أن أتصل بوالدي وأخي لأرتب الأمور فمن المهم لي أن يحضروا زواجنا. والواقع أنه لا يهمني أن يكون فخماً، لكنني أحب أن أدعو عدداً من الأصدقاء المقربين و..

ـ كم المدة؟

ـ لإنهاء الترتيبات؟ لست واثقة تماماً.. ثلاثة أشهر وربما أربعة. أريد أن يكون كل شيء لائقاً..

قال: «شهر واحد».

ـ ماذا تعني بشهر واحد؟

ـ سأعطيك بالضبط ثلاثين يوماً لترتيب أي شيء تريدينه.. لكن هذا أقصى مدى أنا مستعد أن أنتظر فيه.

ـ لكن، كول..

كرر: «شهر واحد؟».

ـ شهر واحد.

لقد وقع كلاهما في الحب من قبل.. خسر كلاهما أثمن شيء لهما. ولسنوات، أبعدا نفسيهما عن الآخرين.. لأن لا أحد آخر يمكن أن يفهم ألمهما.. ثم وجدا الحب.. حبهما هو الحب الناضج الذي جاء بعد أن عانى كل منهما.. والحب الذي يتقاسمانه، كان أقوى من أي حب أمل أحدهما أن يحصل عليه يوماً.

تمتم جيف لبلاكي: «هل فهمت ما كنت أقوله لك؟».

جلس على سلم الشرفة الخلفية مكملاً: «أعتقد أننا مضطران لتحمل هذا فترة أطول».

قضم بلاكي قطعة ذرة.. وتابع جيف: «أستطيع تحمل هذا، إذا تحملته أنت.. واعتقد أنني سأحصل من كل هذا على أخ على الأقل، وإذا كنا محظوظين، فعلى اثنين.. أخت صغيرة لا بأس بها كذلك».

وتنهد بعمق: «.. لكنني سأفكر بالأمر.. فالفتيات يسببن الصداع.. إذا كنت تعرف ماذا أعني».

لوّح الكلب بذنبه بعد أن أعطاه جيف قطعة ذرة أخرى.

ـ أوتعرف ماذا بلاكي؟ سيحل موعد «عيد الأب» قريباً. وهذا هو الأول لي. ولقد اخترت بطاقة معايدة.. فيها صورة أب، وأم، وصبي صغير يرتدي قبعة بايسبول.. وفيها كلب يبدو مثلك تماماً!

***